بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة*

لا يماري إنسان اتصل بالعرب أو أدبهم أو ثقافتهم أدنى اتصال أنهم يرتبطون بلغتهم ارتباطا قلَّ أن نرى مثيلا له فى الأمم الأخرى، وأن هذا الارتباط جعلهم يلتزمون بها، ويشعرون بكل تغيير – مهما كانت تفاهته – يجرى عليها ، ويحاولون المحافظة عليها ما وسعتهم المحاولة .

وكانت الثمرة علمي النحو واللغة . فقد أخذ العرب يتحدثون فى شىء من سائلهما منذ وقت مبكر، لسنا على يقين منه، بل ربما رجع إلى ما قبل الإسلام، كما تنبىء بعض أخبارهم. ولست أريد أن أضرب فى وادى الأوهام، و أركن إلى الظنون. فما أتحدث عنه فى هذا الكتاب غنى عن ذلك.

فلا جدال أن علماء بالعربية أخذوا يظهرون فى المجتمع، ويحملون هذه الصفة، فى القرن الثانى، بل ربما لا أغالى إذا قلت أواخر القرن الأول. ولم يزد جهد الأولين من هؤلاء " العلماء بالعربية" على مدارسة تلاميذهم، ومناقشتهم. ثم جاء خلفٌ لم يرضوا بهذا الجهد وحده، وطمحوا إلى " التدوين" : تدوين ما قاله شيوخهم، وما وصل إليه جهدهم الخاص..

وكانت الثمرة – فى المجال اللغوى الخاص – رسائل تحاول أن تجمع ألفاظا لغوية ذات طابع خاص. ولا يهم أن يكون ذلك الطابع من معناها، كأن تكون هذه الألفاظ جميعا تتحدث عن الإبل وما تعلق بها، فتعطينا الرسائل اللغوية على الموضوعات. أو يكون ذلك الطابع من المصدر الذى وردت فيه ولفت الأنظار كأن تكون فى القرءان، وغريب الحديث. أو يكون ذلك الطابع من ظاهرة لغوية تغلب عليها كأن تكون هذه الألفاظ مهموزة.

---

* نشرت فى مجلة اللسان العربى بالرباط – المملكة المغربية – مج ٨ جـ ١ ، ومج ٩ جـ ١ ، ومج . جـ ١ أى يناير ١٩٧١، ويناير ١٩٧٢ ، ويناير ١٩٧٣ .

obeikandi.com

ومن الضرب الأخير" ألفاظ الأضداد" . فقد كان الذى لفت الأنظار إليها ما تتحلى به من ميزة خاصة، إذ ترد بصورة واحدة،لكنها تدل على معان يتقابل منها اثنان تقابلا تاما.

ولم يكن تدوين الأضداد فيما نعرف من الرسائل اللغوية الأولى، ولكنه تأخر عنها قليلا. وفى القرن الثانى تنبه اللغويون إليها، فشرعوا يلتقطونها، ويشيرون إليها ، ويتحدثون عنها.

وكانت الثمرة الطبيعية أول تدوين للأضداد فى اللغة العربية . وكانت هذه الثمرة الأولى باكورة عدة ثمار : جمعت الأضداد أو درستها. وحول هذه الثمار ندور فى الصفحات الآتية: متأملين ،ومتذوقين،ومقدرين.

ودعائى إلى الله أن يمنحنى القصد فلا أجور، والقدرة فلا أعجز..

obeikandl.com

مدخل

تعريف الأضداد

يبدو أن من أقدم الأمور التى تطلّع إليها علماء اللغة العربية الأولون التفرقة بين الأنواع التى يمكن أن تنقسم إليها الكلمة. فالقدماء يكادون يجمعون أن على ابن أبى طالب أول من تحدث فى قضايا نحوية، ويذهب بعضهم أنه اكتشف أن " الكلام كله اسم وفعل وحرف.. " [1]

ولست فى صدد دعم هذا الكلام أو دحضه، إنما يهمنى أن القدماء كان فى خلدهم أن تقسيم الكلام العربى كان أول قضية نحوية. وإذن فغير غريب أن يكون من أقدم القضايا اللغوية تقسيمات أخرى للكلمة.

وأقدم ما يعنينى من هذه التقسيمات ما أورده سيبويه فى صدر كتابه، دون أن يبين أنقله عن أحد شيوخه أم كان من ابتكاره. والتقسيم الذى أورده ثلاثى أيضا يمكن أن أضعه على النحو التالى. قال[2]:

" اعلم أن من كلامهم :

١ - اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين.. نحو جلس وذهب.

٢ - واختلاف اللفظين والمعنى واحد.. نحو ذهب وانطلق .

٣ - واتفاق اللفظين واختلاف المعنيين.. قولك : وجدت عليه : من الموجِدة، ووجدت : إذا أردت وجدان الضالة..".

أراد سيبويه بالنوع الثانى ما سماه اللغويون المترادف، وبالنوع الثالث ما سموه المشترك.

---

(١) ابن الأنبارى : نزهة الألباء ٢ .

(٢) الكتاب ١ : ٧ .

ولما كان من دونه سيبويه " كتاب" النحاة واللغويين ، والذى رجعوا إليه وأفادوا منه، وكان عمادهم الأكبر، كان طبيعيا أن نجد هذا التقسيم يدور فى كتبهم[1] وكان طبيعيا بل أوغل فى الطبيعية – إن أمكن هذا القول – أن نجد هذا التقسيم عند تلميذ سيبويه فى صدر كتابه الذى ألفه فى الأضداد، ولم يزد عليه غير شىء من البسط والشرح والتمثيل والتفريع. قال أبو على قطرب : "الكلام فى ألفاظه بلغة العرب على ثلاثة أوجه:

١ – فوجه منها – وهو الأعم الأكثر – اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين، وذلك للحاجة منهم إلى ذلك. وذلك قولك : الرجل، والمرأة ، واليوم، والليلة ، وقام، وقعد، وجاء، وذهب. اختلف اللفظان لاختلاف المعنيين. وهذا لا سبيل إلى جمعه وحصره، لأن أكثر الكلام عليه " وقد نشعر من هذه العبارة الأخيرة أن قطربا لم يسمع بمحاولة الخليل بن أحمد الفراهيدى جمع اللغة فى كتاب العين، والحق أن الفراهيدى جمع اللغة فى كتاب العين، والحق أن القدماء يقولون إن كتاب العين لم يرد إلى البصرة من خراسان إلا فى زمن متأخر عن وفاة قطرب .

٢ – والوجه الثانى اختلاف اللفظين والمعنى متفق واحد. وذلك مثل عَيْر وحمار، وذئب وسِيد، وسَمْسَم وثعلب، وأتى وجاء ، وجلس وقعد. اللفظان مختلفان والمعنى واحد.. وكأنهم إنما أرادوا باختلاف اللفظين، وإن كان واحد مُجزئا، أن يوسعوا فى كلامهم وألفاظهم، كما زاحفوا فى أشعارهم ليتوسعوا فى أبنيتها، ولا يلزموا أمرا واحدا .

٣ – والوجه الثالث أن يتفق اللفظ ويختلف المعنى، فيكون اللفظ الواحد على معنيين فصاعدا. وذلك مثل الأمة يريد الدِّين، وقول الله : " إن إبراهيم كان أمة قانتا لله " منه.. والأمة: القامة ، قامة الرجل.. والأمة من الأُمم.

---

(١) انظر الصاحبى لأحمد بن فارس ٩٦ ، ٢٠١ ، والمزهر للسيوطى ١ : ٣٨٨ – ٩.

ومن هذا اللفظ الواحد الذى يجىء على معنيين فصاعدا ما يكون متضادا فى الشىء وضده" . إذ أبان أن هذا المشترك من الكلمات - الذى ذكره سيبويه - نستطيع أن نجد تحته فئتين من الكلمات : فئة تختلف معانيها مثل الأمة، وأخرى يزداد التخالف إلى أن تتضاد، وهى " الأضداد " التى أُلف من أجلها الكتاب ..

وانتقل هذا التقسيم من كتاب قطرب إلى كتاب آخر فى الأضداد، هو الذى ألفه أبو بكر بن الأنبارى[1] فقد أورده هذا برمته فى مقدمته، وأضاف إليه بعض التوضيح والاعتراض . فقد روى أن ابن الأعرابى اعترض على المترادفات، وأنكرها، وأعلن أن كل كلمة منها لها معنى ليس فى أختها، أحيانا نعرفه وأحيانا لا نعرفه. وارتضى ابن الأنبارى رأى ابن الأعرابى ودعمه بالحجج التى تؤيده. وصرح ابن الأنبارى أن الوجهين الأولين من الكلام ، أكثر كلامهم، أما الأضداد فاتفق هو وقطرب على قلتها.

وإذا نظرنا إلى حديث قطرب السابق عن الأضداد وجدناه موجزا ومهما، لا يعطينا تعريفا شاملا دقيقا لها. وقد حافظت الكتب بعد قطرب على هذا الإبهام. فاكتفى أبو حاتم السجستانى بأن قال فى مقدمة كتابه : " ضد الشىء: خلافه وغيره " . وقال ابن الأنبارى فى وصف كتابه[2]: " هذا كتاب ذكر الحروف التى توقعها العرب على المعانى المتضادة فيكون الحرف منها مؤدِّيا عن معنيين مختلفين" .

وكان أبو الطيب اللغوى هو الذى أزال كل إبهام عن اللفظ، حين عرّفه فى صدر كتابه فقال[3] :" الأضداد جمع ضد. وضد كل شىء ما نافاه، نحو البياض

---

(١) ٦ – ٨.

(٢) ١ .

(٣) ١ .

والسواد، والسخ ولبخل.. وليس كل ما خالف الشيء ضدا له. ألا ترى أن القوة والجهل مختلفان وليسا ضدين ، وإنما ضد القوة الضعف، وضد الجهل العلم. فالاختلاف أعم من التضاد، إذ كان كل متضادين مختلفين، وليس كل مختلفين ضدين "

الاختلاف فى وجود الأضداد

وقد اختلف موقف اللغويين القدماء من هذا النوع من الألفاظ . فارتضى جماعة منهم وجودها، واعترف بها ، وتحدث عما يندرج تحتها من ألفاظ، وعللها أحيانا . وكانت هذه الجماعة أسبق فى الظهور من معارضتها ، إذ كان منها أبو عمرو بن العلاء والخليل بن أحمد ويونس بن حبيب وتلاميذهم. واستمر المنتسبون إليها فى البقاء إلى يومنا هذا . أما الجماعة الأخرى فاعترضت على الأضداد ، وأنكرتها . ولا نعرف ممن انتمى إليها من القدماء غير عبد الله بن جعفر المعروف بابن درستويه[1] . وكثر أتباعها فى العصر الحديث. فكان منهم عبد الفتاح بدوى كاتب مقالة " ضدان " فى دائرة المعارف الإسلامية (مادة

---

(١) ذكر الجواليقى فى شرح أدب الكاتب أن ثعلبا أنكر الأضداد، وقال : " ليس فى كلام العرب ضد.. لأنه لو كان فيه ضد لكان الكلام محالا، لأنه لا يكون الأبيض أسود ولا الأسود أبيض. وكلام العرب- وإن اختلف اللفظ - فالمعنى يرجع إلى أصل واحد " (أدب الكاتب ١٧٧).

والغريب أن تلميذه ابن الأنبارى لم يذكر ذلك ، بل أكثر من الرواية فى كتابه عنه إلى درجة تجعل المرء يوقن أن ثعلبا من القائلين بالأضداد. وروى عنه ما يدل على أن ثعلبا أعلن أن اللفظ قد يفيد مقابل معناه ، لعلة من العلل. قال : " قال أبو العباس (ثعلب) : إنما جاز أن يقع الظن على الشك واليقين . لأنه قول بالقلب. فإذا صحت دلائل الحق ، وقامت أماراته كان يقينا. وإذا قامت دلائل الشك، وبطلت دلائل اليقين، كان كذبا ، وإذا اعتدلت دلائل اليقين والشك كان على بابه شكا ، لا يقينا ولا كذبا " (الأضداد ١٦).

أضداد) وكان منهم أغلب المستشرقين ، الذين كتبوا المقالات والرسائل الصغيرة في رفض الأضداد .

وبسبب هذا الاختلاف ، اضطر مؤيدو الأضداد إلى الدفاع عن وجودها ، والرد على ما قاله المعارضون. ولعل أهم من قام بهذا العمل أحمد بن فارس، وابن سيده، ومحمد بن القاسم الأنبارى. أما الأولان فقد وجدت عندهما الدفاع لغويا. وأقامه ابن سيده على الجدل العقلى، فقال لشيخ منكر للأضداد [1]: "هل يجوز عندك أن تجيء لفظتان في اللغة متفقتان لمعنيين مختلفين . (يشير إلى المشترك) فلا يخلو في ذلك أن يجوّزه أو يمنعه. فإن منعه وردّه، صار إلى رد ما يُعلَم وجوده وقبول العلماء له، ومنع ما ثبت جوازُه، وشُبِّهت عليه الألفاظ، فإنها أكثر من أن تحصى وتحصر، نحو " وجدت " الذى يراد به العلم، والوجدان ، والغضب ، و : " جلست " الذى هو خلاف قمت ، و"جلست " الذى هو بمعنى أتيت نجدا (وتسمى جَلْس) . فإذا لم يكن سبيل إلى المنع من هذا، ثبت جواز اللفظة الواحدة للشيء وخلافه. وإذا جاز وقوع اللفظة الواحدة للشيء وخلافه، جاز وقوعها للشيء وضده، إذ الضد ضرب من الخلاف، وإن لم يكن كل خلاف ضدا " .

ولم يلجأ ابن فارس إلى المنطق، والجدل العقلى، في دفاعه عن الأضداد. وإنما اعتمد في أحد رأييه على طبيعة اللغة العربية. فقال [2]: " ومن سنن العرب في الأسماء أن يسموا المتضادين باسم واحد، نحو الجَوْن للأسود، والجون للأبيض ". فالأضداد عنده واحدة من ظواهر اللغة العربية مثل الترادف. واعتمد في رأيه الثانى على الرواة الذين نقلوا لنا الأضداد وموقفنا منهم . فقال يصف لنا رأى المعارضين[3] : " هذا ليس بشيء ، وذلك أن الذين رووا أن

---

(١) المخصص ١٣ : ٢٥٩.

(٢) الصاحبى ٩٧ .

(٣) الصاحبى ٩٨ .

العرب تسمى السيف " مهنّدا" والفرس " طِرْفا" هم الذين رووا أن العرب تسمى المتضادين باسم واحد فابن فارس يوجب أن نوحد موقفنا من هؤلاء الرواة. فإن شككنا فيما رووا من الأضداد وجب علينا أن نشك فى بقية رواياتهم اللغويه، وذلك أمر مستحيل فإن وثقنا بما رووا من غير الأضداد، كان واجبا أن نثق بما أوردوه منها والحق أن ابن فارس كان أكثر توفيقا فى دفاعه عن الأضداد، وأقرب إلى طبيعة اللغة وما تفرضه من مناهج. ويؤسفنا ألا نعثر على كتابه الذى ألفه فى الدفاع عن الأضداد، ووصف موقفه من مذهب المعارضين، فى قوله [1]: " وقد جرّدنا فى هذا كتابا ، ذكرنا فيه ما احتجوا به ، وذكرنا رد ذلك ونقْضه".

وأما ابن الأنبارى فقد تناول واحدا من أهم آراء المنكرين للأضداد ورد عليه. بل لعله أهم رأى لهم، إذ صدر عن رأسهم ابن درستويه ، واستغلته جماعات متنوعة.

ولما كانت كتب المعارضين القدماء لم تصل إلينا، كنا مضطرين إلى الاعتماد على حكايات غيرهم عنهم، وما تساقط إلينا من أقوالهم، فى تصور آرائهم. وتؤكد لنا هذه الحكايات أن المعارضين رفضوا الأضداد جملة ، وأنكروا وجودها فى اللغة. قال أحمد بن فارس[2] . " وأنكر ناس هذا المذهب وأن العرب تأتى باسم واحد لشىء وضده ". وقال السيوطى مصورا لموقف ابن درستويه، الذى يعد رأس المعارضين القدماء[3] " قال بن درستويه فى شرح الفصيح النَّوْء : الارتفاع بمشقة وثقل، ومنه قيل للكوكب: قد ناء إذا طلع. وزعم قوم من اللغويين أن النوء السقوط أيضا ، وأنه من الأضداد . وقد أوضحنا الحجة عليهم

---

(١) ٩٨

(٢) الصاحبى ٩٨ ، وله ٣٠

(٣) المزهر ١ : ٢٩٦

فى ذلك فى كتابنا فى إبطال الأضداد " فاستفدنا من هذا أن ابن درستويه ممن ذهب إلى إنكار الأضداد ، وأن له فى ذلك تأليفا .

وعندما نتتبع الأقوال التى أتى بها المنكرون لدعم رأيهم لا نجد فيما بين يدينا من مراجع غير أقوال قليلة لا تدل على حقيقة موقفهم دلالة كافية. وأهمها الرأى الذى رد عليه ابن الأنبارى ، وجاء به ابن درستويه فى شرح الفصيح حين قال[1] : " إنما اللغة موضوعة للإبانة عن المعانى . فلو جاز وضع لفظ واحد للدلالة على معنيين مختلفين، أو أحدهما ضد الآخر، لما كان ذلك إبانة بل تعمية وتغطية ..".

وتلقَّف هذا القول من ابن درستويه فئتان من الناس. أبدأ بالفئة المتأخرة فى الوجود، إذ عاشت بيننا فى العصر الحديث، وتقبلت القول فى نية حسنة، ودافعت عنه فى مواجهة بعض ما وُجِّه إليه من نقد على العصور، قال عبد الفتاح بدوى[2] : " ينبغى ألا يعزُب عنه أن التضاد مُنافٍ لطبيعة اللغة، وأنه لا يسهِّل التفاهم بين الناس. فمن الصعب أن نقبل أن المعانى الأولية المتضادة يتفاهم الناس عنها بلفظ واحد. والصعوبة التى تنشأ من التضاد أكبر جدا من التى تنشأ من الاشتراك. وإذا قيل : إن القرائن توضِّح المراد كان هذا تسليما حقا بمنافاة التضاد لطبيعة اللغة، لأن الاعتماد على القرائن ليس من طبيعة اللغات فى سذاجتها. وإنما هو طور آخر فوق ذلك " .

أما الفئة الأولى فى الوجود فكانت مريبة ،ولم تقبل القول إلا لتستند إليه فى الطعن على العرب ، إذ سلمت بصحة القول وصحة وجود الأضداد فى آن واحد، وأقامت عليهما من الأحكام ما يتسق مع مآربها الحاقدة. قال ابن

---

(١) المزهر ١ : ٣٨٥ . أضداد ابن الدهان ٥ .

(٢) دائرة المعارف الإسلامية ، مادة أضداد .

الأنباری[1] : ويظن أهل البدع والزيغ والإزراء بالعرب أن ذلك كان منهم لنقصان حكمتهم، وقلة بلاغتهم، وكثرة الالتباس فى محاوراتهم، وعند اتصال مخاطباتهم. فيسألون عن ذلك ، ويحتجون بأن الاسم منبىء عن المعنى الذى تحته ودال عليه، وموضع تأويله . فإذا اعتور اللفظة الواحدة معنيان مختلفان لم يعرف المخاطب أيهما أراد المخاطب ، وبطل بذلك معنى تعليق الاسم على المسمى ".

وكان رد ابن الأنبارى على هذه الفئة الشعوبية بقوله[2] : " إحداهن أن كلام العرب يصحح بعضه بعضا ويرتبط أوله بآخره، ولا يُعرَف معنى الخطاب منه إلا باستيفائه، واستكمال جميع حروفه. فجاز وقوع اللفظة على المعنيين المتضادين لأنها يتقدمها ويأتى بعدها ما يدل على خصوصية أحد المعنيين دون الآخر، ولا يراد بها فى حال التكلم والإخبار إلا معنى واحد.. ومجرى حروف الأضداد مجرى الحروف التى تقع على المعانى المختلفة وإن لم تكن متضادة، فلا يعرف المعنى المقصود منها إلا بما يتقدم الحرف ويتأخر بعده مما يوضح تأويله ".

وتساقط إلينا من أقوال منكرى الأضداد ما يكشف عن أدلة أخرى لهم. ولكن هذه الأقوال لا تحاول أن تهدم القاعدة التى قامت عليها الأضداد كما استهدف قول ابن درستويه السالف، بل تسير فى اتجاه مخالف بعض المخالفة، يجعلنا نستطيع أن نعتمد عليها ونستفيد منها فى موضع آخر. ولذلك نرجىء عرضها والحديث عنها إلى ذلك الموضع ، ونقفز إلى المحدثين من الشرقيين والمستشرقين.

فيبرز أمامنا عبد الفتاح بدوى أكثر الرافضين للأضداد تطرفا وتوسعا فى رأيه، إذ أنكرها إنكارا باتا، وأعلن : " وإننا لنتحدى الذين يزعمون أن فى

(١) الأضداد ١.

(٢) الأضداد ٣ .

اللغة أضدادا ونُباهِلهم، بجميع كلمات اللغة العربية، أن يأتونا بلفظ واحد له معنيان متقابلان بوضع واحد. فإن لم يفعلوا، فليس في اللغة تضاد". وقد اتخذ عبد الفتاح بدوى من قول ابن درستويه أساسا ثم أقام عليه علته في هذا النفي المطلق للأضداد. قال: "ينبغي ألا يعزب عنا أن التضاد مناف لطبيعة اللغة، وأنه لا يسهل التفاهم بين الناس. فمن الصعب أن نقبل أن المعانى الأولية المتضادة يتفاهم الناس عنها بلفظ واحد. والصعوبة التى تنشأ من التضاد أكبر جدا من التى تنشأ من الاشتراك". ورد على ابن الأنبارى قائلا: "وإذا قيل: إن القرائن توضح المراد، كان هذا تسليما حقا بمنافاة التضاد لطبيعة اللغة، لأن الاعتماد على القرائن ليس من طبيعة اللغات فى سذاجتها، وإنما هو طور آخر فوق" ثم قسم عبد الفتاح بدوى الأضداد إلى طوائف، وأتبع كل واحدة بما يبطلها فى نظره. وأعلن أن أمثالها موجود فى اللغات المختلفة، وأتى بشواهد من اللغة الفرنسية.

وقد أجملت دائرة المعارف الإسلامية والدكتور منصور فهمى الأدلة التى اعتمد عليها المستشرقون فى إنكار الأضداد، فكانت كما يلى:

١ – معظم الكلمات التى أوردها مؤلفو الأضداد كانت معروفة عند العرب بمعنى واحد فقط. أما المعنى الآخر المضاد له فلم يرد إلا فى روايات نادرة، بل روايات جديرة بالشك.

ولا ريب أن بعض الألفاظ التى أوردتها كتب الأضداد من هذا القبيل، مثل ذلك ما رواه أبو زيد[1]: "تصدّق الرجل: إذا أعطى صَدقته. وبعض العرب يقول: تصدّق: سأل، والجيد: تصدق: أعطى". ولكن يجب ألا يغيب عن بالنا أن القدماء أنفسهم – وجامعى الأضداد – هم الذين نقدوا مثل هذا اللفظ، وأبانوا الردىء والجيد

(١) أبو حاتم ١١٦. ابن الدهان ١٤.

منه، كما نرى فى النص السابق، ويقابلة عند ابن الأنبارى[1]: "يقال: قد تصدق الرجل: إذا أعطى، وهو المعروف المشهور عند أكثر العرب، وقد تصدق: إذا سأل، وهو القليل فى كلامهم " وعند أبى الطيب[2]: "قال أبو حاتم: والمعروف عند العرب تصدق: إذا أعطى الصدقة". وأمثال هذا النقد كثيرة عند أبى حاتم وابن الأنبارى وأبى الطيب خاصة.

٢ – يُعوِز أكثر ما ذكروا من الأضداد الشواهد الموثوق بها، حتى قال جيز Giese إنه لم يعثر فى الشعر القديم إلا على ٢٢ لفظا من الأضداد. وذهب هرشفلد إلى أبعد من ذلك. فعقب على قول جيز معلنا[3] أن هذا العدد يمكن أن نقلل منه لو ازدادت معرفتنا بالمعانى الأصلية لهذه الألفاظ. وكان ابن الأنبارى هو الذى لفت المستشرقين إلى الشك فى الأضداد التى لا يوجد شواهد عليها، إذ فعل ذلك فى الحميم قال[4]: " قال بعض الناس: الحميم من الأضداد، يقال الحميم للحار، والحميم للبارد، ولم يذكر لذلك شاهدا، والأشهر فى الحميم الحار ..." . وأعلن أن الشاهد هو الدليل على صحة التضاد حين قال[5]: " قال بعض أهل اللغة. الضد يقع على معنيين متضادين، ومجراه مجرى النِّد. يقال فلان ضدى: أى خلافى، وهو ضدى: أى مثلى. قال أبو بكر [ابن الأنبارى]: وهذا عندى قول شاذ لا يعوَّل عليه، لأن المعروف من كلام العرب: العقل ضد الحمق، والإيمان ضد الكفر، والذى ادعى من موافقة الضد للمثل لم يُقِم عليه دليلا تصح به حجته".

---

(١) ١١٠ .

(٢) ٤٣٧

(٣) مجلة الجمعية الآسيوية الملكية بلندن، سنة ١٨٩٥، ص ٢٢٣ .

(٤) ٨٢ . وانظر أضداد أبى الطيب ٢٠٨ .

(٥) ٧ .

obeikandi.com

ولكن الحق أن القدماء أوردوا كثيرا من هذه الألفاظ، أو كثيرا من المعانى المتضادة، مهملة. فلم يوردوا لها شواهد البتة، أو أوردوا منها ما يشهد للمعنى المعروف، وتركوا المعنى غير الشائع بدون شواهد. مثال ذلك دَهْوَر، وزَجُور، ونهوز ، وبُحْتر، فى أضداد قطرب [1] ، وعنه روته بقية كتب الأضداد دون أن تكترث لإضافة الشواهد [2] . والأمر نفسه نجده فى أضداد الأصمعى [3] ، وأبى حاتم [4]، وابن السكيت [5]، وغيرهم. ولكننا يجب أن نحترس هنا أيضا ، فإن القدماء لم يكونوا يشعرون بوجوب إيراد الشواهد على كل ما يسمعون ويروون ، وخاصة إذا كان اللفظ قد سمعوه فى غير شعر. بل إنهم تخففوا فى بعض الأحيان من بعض الشواهد التى كانت بين أيديهم، كما فعل أبو حاتم عندما حذف بعض شواهد الأصمعى من أمثال شَوْهاء ومعبِّد ومغلِّب.

٣ - لا يجوز الاعتماد فى إثبات التضاد على موضع اللفظ من الكلم دون الاعتماد على الأصل اللغوى لهذا اللفظ. والمراد بهذا النظر إلى معنى اللفظ فى حال إفراده لا عندما يركب فى جملة ، لأن السياق قد يكسبه معنى جديدا، هو الذى يخرجه إلى التضاد، مثال ذلك قول ابن الأنبارى[6]: " ومن الأضداد أيضا قول العرب للرجل : " ما ظلمتُك وأنت تُنصفنى" يحتمل معنيين متضادين : أحدهما ما ظلمتك وأنت أيضا لم تظلمنى، بل مذهبك إنصافى، واستعمال ما أستعمله من ترك الظلم لك والجَنف عليك، والمعنى الآخر: ما ظلمتك لو أنصفتنى، فأما إذ لم تنصفنى فإنى أكافئك بمثل فعلك . وقول الله عز وجل :

(١) ١١ ، ١٥ ، ١٨ ، ٤٩ .

(٢) ابن الأنبارى ٢٥٥ ، ٢٤٢ ، ٢٤٤ ، ٢٥٧ ، أبو الطيب ٢٧٣ ، ٣٣٢ ، ٦٥٠ ، ٨٥ .

(٣) ١٧ ، ٣٠، ٣٢ .

(٤) انظر آدم ، أفلت، مودى ، أسد ، أضب ، أمعن ، وغيرها.

(٥) ١٩٦ ، ١٩٩ .

(٦) ١٦٠ .

Obeikandi.com

(وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) يفسر تفسيرين متضادين : أحدهما : وما كان الله معذبهم وأولادهم يستغفرون، أى قد وقع له فى علمه جل وعز أنه يكون لهم ذرية تعبده وتستغفر لهم. فلم يكن ليوقع بهم عذابا يجتث أصلهم، إذ علم ما علم من صلاح أولادهم وعبادتهم له جل وعلا. والتفسير الآخر: وما كان الله معذبهم لو كانوا يستغفرون، فأما إذ كانوا لا يستغفرون فإنهم مستحقون لضروب العذاب التى لا يقع معها البوار والاصطلام، بل تكون كما وقع بهم من عذاب الجدب فى السنين التى لحقتهم فأكلوا فيها الجيف والعِلْهز، وكعذاب السيف والأسر الذى لحقهم يوم بدر وغيره ، والله أعلم بحقيقة ذلك كله وأحكم ".

ولم يلتفت المؤلفون الأولون فى الأضداد لهذا النوع ولم يشيروا إليه فى كتبهم . وإنما ظهر فى القرن الرابع عندما شاعت بين الكتّاب الرغبة فى الإحاطة والاتساع والإتيان بما لم يأت به السابقون. فتجلى عند ابن الأنبارى ، ومن أخذ عنه من اللاحقين عليه كابن الدهان والصغانى.

وأضاف الدكتور منصور فهمى إلى الأسباب السابقة سببا آخر ، يمكن أن نسميه- إذا أحسنا الظن – تساهل اللغويين، وإذا أسأناه حب التكثر والتزيد والتباهى بما أورده كل منهم من الأضداد. فقد دفعهم ذلك إلى إيراد كثير من الألفاظ لا صلة لها بالأضداد ، وإنما هى من المشترك ، مثل المعصِر والحَزوَّر والروح والقلب وأفاد وزنا ونسل.. الخ.

وتوجد إلى جانب ما ذكرته عدة أسباب أخرى أوردها المستشرقون والدكتور منصور فهمى، ولكن تنقصها صفة العموم التى تتحلى بها الأسباب التى ذكرتها. فهى لا تتحدث إلا عن نوع واحد من الأضداد ، ولذلك أبقيها إلى حين معالجة أنواع الأضداد..

obeikandl.com

أصل الأضداد

منذ تنبه اللغويون إلى الأضداد ، واختلفوا فيها، وهم فى محاولة دائبة لتعليلها والكشف عن نشأتها، وكيف وجدت فى اللغة. واشترك فى هذه المحاولة من اتفقت آراؤهم، ومن اختلفت، ومن اعترفوا بها ومن رفضوها، والقدماء والمحدثون ، والعرب والمستعربون. وإن كثيرا من الآراء التى أتى بها منكرو الأضداد هى فى الحقيقة محاولة لتعليل وجودها، ولذلك ادخرتها لأوردها هنا.

واختلفت الطرق التى سلكها العرب وغير العرب فى دراسة هذه الظاهرة اللغوية، فى كثير من الأحيان. فقد أوغل بعض المستشرقين فى تاريخ البشرية وأرجع ظاهرة الأضداد إلى العصور القديمة، عندما كان العقل البشرى فى سذاجته، فلم يكن يفطن لما يعتريه من تناقض . وكان قائل هذه النظرية هو آبل Abel إذ أعلن أن الأضداد هى البقية الباقية مما كان للأوائل من تناقض منطقى فى التفكير. ولكن هذا القول لم يلق رواجا حتى فى أوساط المستشرقين، فرد عليه فيل Veil ورفضه هو ورأى لجست Legust الذى أرجع الأضداد إلى اشتقاقات مبالغ فيها..

وتوسط بعضهم فى الإيغال، فلم يرجع إلى التاريخ البشرى، واقتصر على التاريخ العربى القديم. فأعلن جيز أن العرب اقترضوا بعض هذه الأضداد من اللغات المجاورة لهم. ولما كان معناها الأصلى قد تختلف إيحاءاته، فقد أدى ذلك إلى التضاد فى العربية . وضرب مثالا لذلك بلفظ (جلل). أعلن أن العربية أخذته من اللغة العبرية، وهو فيها بمعنى دحرج. وإذ كان الشىء المدحرج ثقيلا أحيانا، وخفيفا أحيانا، فقد اعتمدت العربية على هذين الإيحاءين المتضادين للكلمة الواحدة وأعطتها معنيين متضادين هما عظيم وحقير.

واقتصد بعضهم الآخر ، ونظر فى تاريخ الجماعة الواحدة ، فوجد فيه من التطور ما يؤدى إلى التضاد دون استعارة من الخارج. وضرب جيز مثالا لذلك

بالفعلين باع وشرى. فقد كان المعنى الأصيل لهما بادل ، وحين كان البيع والشراء يقوم على مبادلة السلع. فلما عرفت النقود ، اختص كل فعل منهما بواحد من القائمين بالعمل. ولكن رواسب العهد القديم بقيت حية، فكانت تلقى ظلالها على معنى الفعلين ، فتخلط بينهما.

وأضاف الدكتور منصور فهمى إلى المثال السابق مثالا من حياتنا الحاضرة، يلتبس فيه معنى الفعل لحداثة عهد الناس بالحديث الذى يدل عليه. فلما كنا حديثى عهد بالقناطر (الكبارى) التى تفتح وتغلق لم نستطع أن نستقر بعد على إعطاء لفظ واحد لكل من عمليها. فنحن نقول : فتحت القنطرة إذا أغلقت فى وجه المارة وفتحت للمراكب، وإذا فتحت أمام المارة وأغلقت طريق المراكب أيضا. وربما اجتمع إلى حداثة العهد اختلاف النظرة.. فأصحاب المراكب يقولون عنها: فتحت، إذا فتحت لهم وأغلقت فى وجه المارة، وهؤلاء يقولون: فتحت إن حدث العكس. ولكن هؤلاء وهؤلاء غير منفصلين، ومن هنا صار للكلمة معنيَاها المتضادان والشائعان مَعا..

ولم يلتفت فريق إلى التاريخ وبحث عن العلة فيمن يراه من جماعة وفرد،وما يسودهما من ظواهر ذات تأثير فى اللغة. فذهب إلى أن بعض المعانى المتضادة يرتبط بعضها ببعض وتتداعى فى الذهن، فتؤدى إلى الأضداد . مثال ذلك كلمة " البين" التى تطلق على الفراق والاجتماع، والسبب فى ذلك أن الإنسان قد يفترق وحده عن جماعته، وقد يفترق ويلحق بجماعة أخرى. ولا يختلف هذا القول كثيرا عن القول الآخر الذى أوردته دائرة المعارف الإسلامية أيضا منسوبا إلى جيز، ورأى أن الارتباط بين المعنى قد يكون بسبب أن أحدهما نتيجة للآخر. مثل خفى البرق معنى ظهر واستتر. فإن البرق لا يكاد يظهر حتى يختفى، فالظهور والاختفاء متلاحقان، وثانيهما نتيجة لأولهما. ومثل " ناء" بمعنى نهض بالحِمل فى مشقة، وحَمَل الحمل. ومثلهما ما سماه تداخل الأحداث، فما كان آخرا لأمر قد يكون أولا لغيره ، وما يكون أولا لأمر قد يكون

آخرا لغيره مثل " السدفة" فهى الوقت الذى بين النور والظلمة، يمكن أن تختلف فيها القبائل أو الأفراد بل سامعوها من اللغويين فيظنوا أن المراد بها النور وحده أو الظلام وحده .

وآخر ما جعله جيز من أسباب التضاد غموض الانفعالات والمشاعر وانبهامها واختلافها من شخص إلى آخر ، وتسرب هذا الغموض إلى الألفاظ التى تدل عليها حتى يؤدى بها ذلك إلى التضاد . مثال ذلك الذَّفَر، التى تطلق على الرائحة الطيبة والكريهة. وسبب ذلك اختلاف شعور الإنسان بها، إذ يحبها شخص ويرتاح إليها، ويتأفف منها آخر وينفر لشدتها..

أما اللغويون العرب فقصَروا جهودهم على الأضداد العربية ، ولم يبعدوا عنها لا تاريخا ولا لغة ولا اجتماعا، وحاولوا أن يتبينوا أصولها ونشأتها ومسالكها فى اللغة العربية نفسها. وأكثر الآراء التى رأيتها شيوعا عندهم كون كثير من هذه الأضداد من أثر اللهجات الكثيرة التى ضمتها العربية الفصحى. قال ابن الأنبارى [1]: " قال آخرون : إذا وقع الحرف على معنيين متضادين، فمحال أن يكون العربى أوقعه عليهما بمساواة منه بينهما، ولكن أحد المعنيين لحىٍّ من العرب، والمعنى الآخر لحى غيره، ثم سمع بعضهم لغة بعض، فأخذ هؤلاء عن هؤلاء وهؤلاء عن هؤلاء .. فالجَون الأبيض فى لغة حى من العرب، والجون الأسود فى لغة حى آخر. ثم أخذ أحد الفريقين من الآخر.." وترددت أصداء هذا القول عند أبى على الفارسى [2]،وابن الدهان[3] ، ثم الكتاب المحدثين . وكان أحد الدعائم التى استند إليها ابن درستويه [4] فى إنكار الأضداد ..

---

(١) ١١ .

(٢) المخصص ١٣ : ٥٩ .

(٣) ٥ .

(٤) المزهر ١ : ٣٨٥ .

وأورد ابن الأنباري رأيا آخر لم ينسبه إلى أحد، وكان له صداه، أيضا في الدراسات اللاحقة. قال[1]: وقال آخرون : إذا وقع الحرف على معنيين متضادين، فالأصل لمعنى واحد، ثم تداخل الاثنان على جهة الاتساع . فمن ذلك الصَّريم ، يقال لليل صريم. وللنهار صريم، لأن الليل ينصرم من النهار، والنهار ينصرم من الليل ، فأصل المعنيين من باب واحد، وهو القطع. وكذلك الصارخ المغيث والصارخ المستغيث، سميا بذلك لأن المغيث يصرخ بالإغاثة، والمستغيث يصرخ بالاستغاثة ، فأصلهما من باب واحد..".

وقد جعل الشيخ محمد الخضرى هذا القول واحدا من رأيين له في تعليل نشأة الأضداد قال [2]:وأولهما أن يكون بين المعنيين فكرة واحدة تجمعهما فيصلح اللفظ لكل منهما لاشتراكه في هذه الفكرة . وحين يغفل الناس عن هذه الفكرة المشتركة يظنون أن اللفظ من الأضداد . مثال ذلك الصريم، هو الليل أو النهار . وأصل اللفظ من الانصرام بمعنى الانسلاخ ، فالليل صريم لأنه ينسلخ من النهار، والنهار صريم لأنه ينسلخ من الليل ، وهما متداخلان. ومصداق ذلك الآية الكريمة : (يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل) .

ونستطيع أن نضع تحت هذا القول ما علل به عبد الفتاح بدوى التضاد في الفعل باع. فقد رأى أن المعنى الأصلى له مَدُّ باعه، سواء للأخذ أو العطاء، ومن هنا أُطلق على الشارى والبائع لأن كلا منهما يفعل ذلك في وقت البيع .

وجاء ابن درستويه بعلتين أخريين للتخالف والتضاد في معنى الكلمات. قال السيوطى[3] حاكيا قوله : " فلو جاز وضع لفظ واحد للدلالة على معنيين مختلفين أو أحدهما ضد للآخر لما كان ذلك إبانة بل تعمية وتغطية. ولكن قد يجيء الشيء النادر من هذا لعلل كما يجيء فعل وأفعل، فيتوهم من لا يعرف

---

(١) ٨ .

(٢) الأصول ١٧٤ .

(٣) المزهر ١ : ٣٨٥ .

العلل أنهما لمعنيين مختلفين، وإن اتفق اللفظان . والسماع فى ذلك صحيح من العرب، فالتأويل عليهم خطأ . وإنما يجىء ذلك فى لغتين متباينتين، أو لحذف واختصار وقع فى الكلام، حتى اشتبه اللفظان، وخَفِى سبب ذلك على السامع وتأول فيه الخطأ. وذلك أن الفعل الذى لا يتعدى فاعله، إذا احتيج إلى تعديته لم تجُز تعديته على لفظه الذى هو عليه حتى يغيَّر إلى لفظ آخر، بأن يزاد فى أوله الهمزة، أو يوصل به حرف جر بعد تمامه، ليستدل السامع على اختلاف المعنيين . إلا أنه ربما كثر استعمال بعض هذا الباب فى كلام العرب، حتى يحاولوا تخفيفه، فيحذفوا حرف الجر منه، فيعرف بطول العادة، وكثرة الاستعمال، وثبوت المفعول وإعرابه فيه خاليا عن الجار المحذوف. أو يشبُّه الفعل بفعل آخر متعد على غير لفظه، فيجرى مجراه لاتفاقهما فى المعنى، كقولهم: حَبَسْت الدابة، وحبست ما لا على المساكين ". فأسباب التخالف عنده تداخل اللغات، وحذف حرف التعدية من الفعل اللازم لكثرة الاستعمال، وتشبيه الفعل بمرادفه فى المعنى أو ما نعرفه اليوم باسم التضمين . ويجدر بنا – قبل أن نترك ابن درستويه – أن نلاحظ أنه اضطر إلى الاعتراف بأنه " قد يجىء الشىء النادر من هذا " فى اللغة، فهو لم يستطع أن ينكسر وجود هذا النوع المتخالف والمتضاد من الألفاظ فى اللغة، ويعلن خلوها التام منه، وإنما أعلن أنه " نادر " وله علله ..

وأسهم أبو على الفارسى فى التعليل أيضا، فأضاف العلة المجازية . روى ابن سيده عنه[1]: " أما .. اتفاق اللفظين واختلاف المعنيين فينبغى ألا يكون قصدا فى الوضع ولا أصلا . ولكنه من لغات تداخلت، أو تكون كل لفظة تستعمل بمعنى ثم تستعار لشىء ، فتكثر وتغلب فتصير بمنزلة الأصل ". وقد كان لهذا الرأى الأخير صداه الواسع فى تقسيم الأضداد بعد ذلك.

هذه هى الآراء التى جاء بها القدماء فى معرض تعليل الأضداد حينا، ومعرض إنكارها حينا آخر. وتلقفها عنهم المحدثون فأذاعوها بينهم مقتصرين

(١) المخصص ١٣ : ٥٩ .

عليها تارة ، ومتسمحين فيها أخرى ، ومتشعبين بها فى أحوال كثيرة حتى خلصوا إلى آراء ما كانت تدور فى خلد القدماء.

وبقى أمامى المذهب الثانى الذى جعله الشيخ محمد الخضرى [1] علة لنشأة الأضداد وهو أن يطلق اللفظ على شيء واحد ، تتغير مظاهره أحيانا، فلا يفطن السامع إلا إلى المظهر، فيحكم بالتخالف والتضاد.. مثال ذلك عنده الجون، فالأصل فيها أن تطلق على السحاب. ولما كان من السحاب الأبيض ومنه الأسود فقد ظن اللغويون أن هذه الصفة مراعاة فى اللفظ ، وأنه يطلق على الأبيض من السحاب تارة،وعلى الأسود أخرى، فهو إذن من الأضداد . وليس الأمر كما ظنوا، فلا تضاد فى اللفظ لأنه لايدل إلا على السحاب مجردا من كل صفة ..

وآخر العلل التى عثرت عليها ما أضافه الدكتور منصور فهمى مستقيا إياه من أقوال القدماء عن التفاؤل والتطير والتهكم، إذ إن العرب اعتادوا أن يعدلوا عما يكرهون من ألفاظ إلى ما يحبون، فسموا الصحراء المهلكة : المفازة من الفوز، والأعمى: البصير، والملدوغ : السليم ، ونادوا الجاهل بقولهم: " يا عاقل ". ولازلنا نحن نسمع فى المقاهى عبارة : " خد المليان " يريدون بها الأكواب الفارغة.

ويؤدى بنا التأمل الدقيق فى العلل التى أوردها الدارسون للغة العربية نفسها دون محاولة للفلسفة أو للعثور على نظرية عامة أو الإبعاد فى مجاهل التفكير البشرى، يؤدى بنا هذا النوع من التأمل إلى أن أهم ما قالوا من علل وأخطره هو " المعنى الأصلى للألفاظ" . فنحن فى حاجة إلى إعادة النظر فى هذه الألفاظ، وفيما ذكره اللغويون من معان، وفى حاجة إلى محاولة استكشاف الطريق إلى المعنى الأصلى الحق لها، الذى لا يأبه بما حولها من ملابسات، ولا بما يرتبط بها من ظواهر، ولا بما يؤدى إليه من نتائج، ولا بما قطعه اللفظ من أشواط سيرا فى طريق معتدلة آنا ومعوجة آونة . فإن وصلنا إلى ذلك المعنى ،

---

(١) الأصول ١٧٤ .

غمرنا الضوء من كل مكان، واستبان لنا نطور اللفظ، وما اكتسبه من معان ودلالات ، وما أحيط به من ظلال ، جعلته مشوبا بالغموض أحيانا، وعرضة للخطأ أحيانا أخرى..

وأما بقية العلل فهى ارتياد لبعض الطرق التى سلكها اللفظ ليصل إلى درجة التضاد مثل اللغات، والمجاز ، والحذف للتخفيف، وما إليها من أمور.

كذلك يؤدى بنا التأمل الدقيق فى الأقوال السالفة إلى نتيجة قد تبدو غريبة ولكنها حقيقة واقعة. أعنى أنه لم يوجد من اللغويين على قدر ما نستطع الحكم، من خلال ما عندنا من معلومات، من ينكر وجود الأضداد فى اللغة العربية الفصحى. فمن رفضوا الأضداد رفضوا أصالتها، أريد أنهم رفضوا أن تكون وضعت أصلا للمعنيين المتضادين. لكن ما خضعت له من تطور بالنوع أو المجاز أو الحذف أدى إلى وجود لفظين متماثلين فى كل شىء، بحيث لا يمكن أن نفرق بينهما ونعدهما لفظين متمايزين، غير أن معنييهما متضادان. كذلك أدى انصباب الروافد القبلية دون تمييز بينها فى تيار العربية الفصحى إلى ما أشبه الظاهرة السابقة. فالفصحى بصورتها الراهنة تحتوى على هذا النوع من الألفاظ (الذى نسميه الأضداد) باعتراف جميع القدماء، وإن اختلفت أصول هذه الأضداد ، والطرق التى سلكتها حتى وصلت إلى التيار الحالى ..

ويؤدى بنا أيضا إلى نتيجة أخرى أجمع عليها المنكرون والمؤيدون ، هى قلة الأضداد فى اللغة العربية الفصحى. فابن درستويه من المعارضين يصفها "بالشيء النادر" وابن الأنبارى من المؤيدين يقول [1]: " هذا الضرب من الألفاظ هو القليل الظريف فى كلام العرب ".

---

(١) ٦.

شروط الأضداد

إذا كان من أنكر الأضداد أطلق قوله فيها ثم اضطر إلى التراجع قليلا عنه، عندما استقصى النظر فى اللغة، أو احتوى قوله على ما يومىء إلى تراجع، فإننا نجد الظاهرة نفسها عند المؤيدين لوجود الأضداد أو بعضهم.

فقد كان فى وهم المؤلفين الأولين أن الأضداد ألفاظ قلائل فى اللغة. فحاولوا جمعها وإبرازها. وتحت أثر هذا الإحساس، ومن هذه الغاية، جمعوا مع الأضداد ألفاظا كثيرة عدوها أضدادا، وهى واهنة الصلة بها. وكان أكثر المؤلفين وقوعا تحت هذا الأثر قطرب: أول من كتب عن الأضداد.

فاضطر من جاء بعده إلى إدخال ما قاله فى كتابه كيلا يتهم بأنه فاته من الأضداد شىء [1]. ولكن أهل القرنين الثالث والرابع كانوا قد أخذوا يتخلصون من هذا الأثر، بعد أن رأوا ما أمامهم من كتب فى الأضداد. فأخذوا يعيدون النظر فيها، وفى أضداد قطرب خاصة، وينقدون منها كثيرا. وعند تتبع هذا النقد استخلصت كثيرا من الشروط يجب أن تتوفر فى اللفظ حتى يدخلوه فى الأضداد. ولكن الأمر المؤسف أن هذه الشروط أهملها واضعوها أنفسهم، ولم يطبقوها فى كثير من الألفاظ التى دونوها فى كتبهم. وبالرغم من ذلك أتبع هذه الشروط لأهميتها فى توضيح " صورة الأضداد" فى أذهانهم، وإن لم تتحقق كل التحقق فى كتبهم.

وأهم مؤلف يكثر عنده هذا النوع من الأقوال هو أبو بكر محمد بن القاسم الأنبارى. ونستطيع أن نقول إنه يضع الشروط التالية فى اللفظ ليعده من الأضداد :

١ - أن تكون صيغة اللفظ ذى المعنيين المتضادين واحدة. فأخرج من الأضداد ما كان أحد المعنيين لأفعل والآخر لفعل. قال [2] : " قال قطرب : من

---

(١) أبو الطيب ٦٨٨ .

(٢) ٢٧٦ . وانظر ٥٨٣ ، ٢٩١-٢٩٨ ، ٣٠٤ .

الأضداد قولهم : قد خَذِمت النعل : إذا انقطعت عروتها وشِسْعها، وأخذمتها: إذا أصلحت عروتها وشسعها. وهذا ليس عندى من الأضداد، لأن " خذمت " لا يقع إلا على معنى واحد . ولفظ أخذمت يخالف لفظ خذمت. وما لم يعبر إلا عن معنى واحد بلفظه لا يكون من الأضداد "واتفق أبو الطيب اللغوى مع ابن الأنبارى فى هذا الرأى ، بل من كلامه الذى أذكره بعدُ ما يدل على اتفاقه معه فى حديثه عن كل الصيغ التالية .

وأخرج أبو بكر منها ما جاء على فعل المجرد وفعّل المضاعف . قال[1] : "قطرب : من الأضداد قولهم: بَدُن الرجل . إذا حمل اللحم والشحم، وبدّن تبدينا: إذا أسنّ وكبر وضعف. قال أبو بكر : وليس الأمر عندى على ما ذكر قطرب، لأن (بدُن) لفظ خالف لفظ (بدّن) . وما لا يقع إلا على معنى واحد لا يدخل فى حروف الأضداد ".

وأخرج منها ما كان على فَعْل وفعِل وفَعيل من الصفات . قال [2] : " قال قطرب: من الأضداد قولهم: رجل نُجْد: إذا كان سريع الإجابة إلى الداعى إذا دعاه.. ويقال : رجل نجِد: إذا كان مفزّعا من أى وجه .. وقال غير قطرب: يقال للمفزع : منجود ونجيد .. قال أبو بكر : وليس النجْد عندى من الأضداد،لأن العرب لا توقعه إلا على معنى واحد ، وما كان بهذه الصفة لا يدخل فى الأضداد ".

وأخرج ما كان على فاعل ومفعول ، قال [3] : " ومن حروف الأضداد : الطاحِى : المنضجِع . والطاحى : المرتفع .. هذا قول قطرب. وليس الطاحى عندى من الأضداد ، لأنه لا يقال طاحٍ للمنخفض ، إنما يقال للمنخفض مَطحوّ ومَطحىّ ".

---

(١) ٣١٠ .

(٢) ٣٢ .

(٣) ٣٠٢.

وأخرج ما كان فعلا واسما ، قال (١) : قطرب : من الأضداد قولهم : قد حمّرت المرأةَ : إذا جعلت لها كالنَّزَعتين من حَلْق ونَتْف - والنَّزْعة : ما ينحسر من شعر جانبي الرأس الذي يَعْضُد، نابت في الجبين - قال : ويقال للذؤابة حمار ويقال للمرأة جماران ، أي ذؤابتان ضُفِرتا مقبلتين على جهها فقول قطرب . حمرت المرأة ولها جماران من الأضداد ، ليس بصحيح، لأن جمرت لا يكون بمعنى وفرت الشعر، ولا يقال : جمار لما يضاد الذؤابة ، فلا وجه لإدخاله في حروف الأضداد " .

فابن الأنباري يشترط أن يكون المعنيان المتضادان فعلين أو اسيمن أو صفتين، وكل منها على وزن واحد، ولا يحكم بالتضاد فيما شذ عن ذلك .

كذلك اشترط أن يكون للصيغة الواحدة معنيان متضادان لا يمكن ردهما إلى معنى واحد، قال (٢) : " قال بعض الناس : طرِب : حرف من الأضداد . يقال طرب إذا فرح ،وطرب إذا حزن.. ولم يُصب هذا القائل عندي، لأن الطرب ليس هو الفرح ولا الحزن، وإنما هو خفة تلحق الإنسان في وقت فرحه وحزنه ".

واتفق أبو الطيب اللغوي معه في هذا الرأى ، قال(٣) : "أبو حاتم وقطرب قالا . ومن الأضداد المأتم . فالمأتم النساء المجتمعات في فرح وسرور ، والمأتم النساء المجتمعات في غم وحزن ومناحة .. وقال غيرهما: المأتم جماعة النساء، لا واحد لها من لفظها ، وسواء كن في وليمة أو مناحة أو في غيرهما بعد أن يكنّ مجتمعات . فعلى هذا ليس المأتم عنده من الأضداد "

واشترط ابن الأنباري أيضا أن يكون هذان المعنيان فصيحين لا من ابتكار العامة، قال (٤) : " قال قطرب : الحِرْفة من الأضداد ، يقال . قد أحرف

(١) ٢٧٩ .

(٢) ٥٧ . وانظر ٥٨ ، ٩٢ .

(٣) ٢١ . وانظر ٣٧ ، ٥٧ .

(٤) ٢٦٧.

الرجل إحرافا إذا نما ماله وكثر، والاسم الحِرْفة من هذا المعنى. قال : والحرفة عند الناس الفقر وقلة الكسب . وليست من كلام العرب إنما تقولها العامة".

واشترط أن يكون المعنيان معروفين استعملهما العرب فى حوارهم . قال [1] : " قال قطرب : من الأضداد : الهَجْر، يقال هَجَرْت الرجلَ : إذا أعرضت عنه، وهجرت الناقة : إذا شددت فى أنفها الهجار - وهو حبل - لتعطفها على ولد غيرها.. وهذا القول عندى بعيد ، لأن المعنى الثانى لم يستعمل فى الناس ".

ويبدو أن أبا الطيب اللغوى يتفق مع ابن الأنبارى فى هذا الرأى أيضا ، وإن لم يعلن ذلك صراحة" قال مثلا [2] : " قال قطرب ، ومن الأضداد التَّفِل . فالتفل المنتن، والتفل المتطيِّب. قال أبو الطيب : المعروف من التفل المنتن ".

واشترط أبو الطيب ألا يكون المعنى الثانى مجازيا . فأخرج من الأضداد[3] : " ما جاء مسمى باسم غيره ، لما كان من سببه " مثل العُشَراء الذى يطلق على الناقة التى بلغت عشرة أشهر فى حملها، والناقة التى نُتجت حديثا، والإرة الذى يطلق على الحفرة التى فيها النار ، وعلى النار نفسها.

واشترط فى المعنى ألا يكون مقلوبا أو مُزالا عن جهته، مثل قولهم ناء بى الحمل، ويا خيلَ الله اركبى . ولم يعدَّ ذلك من الأضداد [4] .

وانفرد أبو الطيب اللغوى بإخراج مجموعة من الألفاظ تتضاد فى معانيها وتتماثل فى صورتها ، ولكن هذه الصورة المتماثلة فى ظاهرها مختلفة فى حقيقتها، إذ تختلف العلل، الصرفية التى وصلت بها إلى صورتها. مثال ذلك

---

(١) ٢١٣ . وانظر ٢٨٨، ٢٨٩، ٣٠٠ ، ٣٤٦.

(٢) ١١٣ . وانظر ١٦٣ .

(٣) ٧١١ . .

(٤) ٧٢٠ .

قولـه [1] : " ومـن الأضـداد – زعـم الـتوزى – قولهـم : رجـل مُـودٍ أى هـالك، ورجـل مـودٍ إذا كـان ذا سـلاح قويـا. قـال أبـو الطيـب : ولـيس كذلـك ، لأن المـودى الهـالك غـير مهمـوز، وفـاءُ الفعـل منه واو، يقـال : أَوْدَى الـرجل يـودى إيـداء أى هلـك.. والمـؤدى مـن السـلاح مهمـوز، وفـاء الفعـل مـنه همـزة ، وإنمـا معـناه ذو أداة الحـرب. يقـال : قـد آدى يـؤدى : إذا تمـت أداتـه لـلحرب وسـلاحه.. فهـذا غـير الأول ". وقـد أدى بـه هـذا التصـور للأضـداد إلى أن يخـرج مـنها مـا جـاء عـلى مفتعِل ومفـتعَل ممـا عيـنه منقلـبة عـن يـاء أو واو، إذ لا يـبين فـيه كسـر العـين وفـتحها لسـكون الألـف، مـثل المبُـتاع والمُجـتاب والمُجـتاح، ومـن المدغَـم العـين فـى الـلام، مثل المبتَزّ والمحتز والمختص. ووضعه فى آخر الكتاب [2] .

وأخـرج مجموعـة تماثـلها لاخـتلاف حـرف العلـة الأصـلى فـيها، قـال [3] : "قـال أبـو حـاتم: ومـن الأضـداد قولهـم : ضـاع فـلان ، مـن الضّـياع ، وضـاع الشـىء إذا ظهـر وبـدا.. قـال اللغـوى ، وأمـا أنـا فـلا أرى هـذا مـن الأضـداد ، لأن شـرط الأضـداد أن تكـون الكـلمة الواحـدة بعيـنها تسـتعمل فـى معنـيين متضـادين، مـن غـير تغـيير يدخـل علـيها . وقولهـم: ضـاع يضـيع مـن الضـياع إنمـا الألـف فـيه منقلـبة عن ياء .. وقولهم ضاع إذا ظهر الألف فيه منقلبة عن واو ".

بـل ذهـب إلى أبعـد مـن ذلـك وأخـرج مـن الأضـداد مـا اختلفـت صـيغ المجـرد والمصـدر مـنه مـن الأفعـال، وعـد ذلـك اخـتلافا بيـنهما . قـال [4] : " ومـن الأضـداد القـانع، زعمـوا . قـالوا: فالقـانع الراضـى، والقـانع السـائل الطالـب.. قـال عـبد الواحـد : لـيس هـذا عـندى مـن الأضـداد ، لأن شـرط الأضـداد ، عـلى مـا أصّـلنا أولا: أن تكـون الكـلمة الواحـدة تنـبىء عـن معنـيين متضـادين، مـن غـير تغـيير

---

(1) ٦٧١ .

(2) ٦٩١.

(3) ٤٥٢ .

(4) ٥٧٧.

يدخل عليها، ولا اختلاف فى تصرفها .. والقانع بمعنى الراضى يقال منه قنع يقنع، مثل شرب يشرب، والمصدر قَناعة وقَنْعا وقناعا وقُنعانا ، أى رضى فهو قانع وقنع . والقانع - بمعنى السائل - يقال منه قنع يقنع مثل صنع يصنع، والمصدر قنوعا لا غيره.. وإذا تغير البناء لتغيير المعنى فليس من الأضداد ".

ونستخلص من هذا غموض صورة الأضداد فى ذهن قطرب أو عدم وجود حدود لها، وأخذها فى الوضوح والجلاء والتحدد على مر الزمن.. فكانت اللمحات الأولى عنها عند أبى حاتم السجستانى . ثم كان كمال البروز والتحدد عند ابن الأنبارى وأبى الطيب .

أنواع الأضداد

نستشرف من الحديث السابق عن أسباب الأضداد ، والاختلاف فيها، وتغير صورها عند اللغويين، نستشرف منه أن الأضداد لم تضم فئة واحدة من الألفاظ كان من المحتمل أن يتفق عليها العلماء أو على كثير من الظواهر المتصلة بها.

وبالرغم من إحساس العلماء المبكر بأن الأضداد فئات عدة، لم أجد بين القدماء من حاول أن يصنفها ، تصنيفا قاصرا أو شاملا. وبالرغم من أن المحدثين اضطروا إلى الفصل بين أنواع منها، ليسهل عليهم رفضها أو تعليلها، فإنهم لم يرتقوا بهذا الفصل إلى أن يكون تصنيفا.

والرجل الوحيد الذى حاول شيئا من ذلك هو عبد الفتاح بدوى. ويبدو أنه أراد أن يعوض ما فات اللغويين، فأعطانا تقسيمين لا واحدا . أما التقسيم الأول فصغير ومحكم، ويقوم على أساس نحوى. فقد جعل الأضداد أربعة أنواع :

١ - أضداد فى اللفظ المفرد ، كالقرء للحيض والطهر .

٢ - أضداد فى الفعل ، كظن للشك واليقين .

openkanda.com

٣ – أضداد في التراكيب ، كعبارة " تهيَّبتُ الطريق وتهيبتني الطريق ".

٤ – أضداد في المعلقات ، كرغب عنه ورغب فيه.

وكان التقسيم الثاني واسعا، ينظر إلى عدة أسس بحيث تغيب عن النظر الذى يريد أن يصل إليها. فالأضداد في هذا التقسيم تقع في عشر طوائف، هى:

١ – الأضداد التى تحقق المعنى فى كل من المتعلقين على حد سواء ، مثل إطلاق الصارخ على كل من المغيث والمستغيث .

٢ – الأضداد التى يكون أحد معنييها حقيقيا والآخر مجازيا ، مثل إطلاق الكأس على الإناء والشراب الذى فيه.

٣ – الأضداد الآتية من لهجات مختلفة ، مثل وثب وسجد.

٤– الأضداد التى يصح أن ينسب مصدرها إلى أى من الطرفين، مثل إطلاق المولى على السيد والخادم.

٥ – الأضداد التى تتوافق منطقا وتختلف تصريفا ، مثل إطلاق المختار على الشخص الذى اختار، والشيء الذى اختير.

٦ – الأضداد الناتجة عن المتعلقات ، مثل رغب فيه ورغب عنه.

٧ – الأضداد الناتجة عن السياق ، مثل : " نسوا الله فنسيهم".

٨ – الأدوات والحروف ، مثل إن وإذ وإذا.

٩ – الأضداد الناتجة من التفسير ، مثل شاة دَرْعاء ، ومأتم.

١٠ – الأضداد الناتجة من تعسف اللغويين، مثل بعض .

ومهما يكن من شيء، فإننى لن أعنى كثيرا بالتقسيمات النظرية، وإن كنت لن أهملها كل الإهمال . وأجعل همى كله فى تتبع الأنواع المختلفة التى أدخلها مؤلفو الأضداد فعلا فى كتبهم، إذ اختلف النظر والتطبيق عندهم. وأبدأ بأول

مؤلف . قطرب ، إذ توسع في تصور الأضداد أكثر من غيره، حتى اضطر من جاء بعده إلى نقده، ورفض كثير منها. ولن أقف عند التقسيم، بل أتبع كل صنف بما وجه إليه من نقد. وهاك ما وجدته من أصناف عند قطرب:

١ - الأضداد الحقيقية، أعني الألفاظ ذات المعنيين المتقابلين عنده. قال[1] : " العَقوق للحامل والعقوق للحائل أيضا" وقال[2]: وقالوا في الأضداد: النَّحاحة: السخاء، والنحاحة: البخل ". ونازعه غيره في تضاد بعض ما جاء به من ألفاظ.

قال أبو الطيب[3]: وحكى : يقال : بَرَّدت الماء ، من البرد ، أي جعلته باردا. وبردته : سخنته. قال : وأنشدنا بعضهم:

شكَتِ البرد في المياه ، فقلنا بَرِّديه توافقيه سَخينا

قال قطرب : معنى برديه في هذا البيت سخنيه. وقال أبو حاتم : هذا خطأ، إنما هو برديه (يريد : بل رِديه) من الورود، ولكنه أدغم اللام في الراء، كما يقرأ (كلا ، بل ران على قلوبهم) قال أبو الطيب : وهذا الصحيح ، وبه يستقيم معنى البيت". وقال ابن الأنباري عن لفظ آخر[4]: " ومن حروف الأضداد البحتر: يقال رجل بُحْتر، إذا كان قصيرا - أو بهتر بالهاء أيضا - ويقال: رجل بُحْتر إذا كان عظيما . ذكر هذا قطرب ، وما علمنا أحدا وافقه على أن البحتر يقال للعظيم".

---

(١) ٦٩ . وأورده أبو حاتم ٢٢٤ ، وابن الأنباري ١١٤، وأبو الطيب ٤٩٥، وابن الدهان ١٥ والصغاني ٥٨٨ .

(٢) ١٣٣. وأورده أبو حاتم ، ٢٥٣ ، وابن الأنباري ٣٠١ وأبو الطيب ٦٥٠- وابن الدهان ٢٠ ، والصغاني ٦٧٠.

(٣) ٨٦ ، وأورده ابن الأنباري ٣١ ، وابن الدهان ٧ .

(٤) ٢٥٧ . وأورده قطرب ٤٩ ، وأبو الطيب ٨٥، وابن الدهان ٧ ، والصغاني ٣٨٩ .

٢ – الألفاظ المتضادة المعانى من اختلاف الصيغ، مثل فعل وأفعل، وفعل وفعَّل من الأفعال، وفَعْل رفَعِل وفَعيل من الصفات. وقد أوردت آنفا أمثلتها ،وما وجهه إليها ابن الأنبارى وأبو الطيب من نقد، وإخراجهما إياها من الأضداد . والحق معهما، ولذلك لم يوافق قطربا من أتى بعده من مؤلفى الأضداد. فاستبعده أكثرهم من كتبه. وربما كان واجبا أن نستثنى أبا عبيدة والتوزى من هذا الحكم، إذ يبدو أنهما أورداه فى كتابيهما. قال أبو الطيب [1]: " قال أبو عبيدة: تَرِب الرجل يترب تربا : إذا لصق بالتراب من الفقر.. وأترب الرجل يترب إترابا: إذا كثر ماله ككثرة التراب. فالترب المحتاج، والمُترب الغنى " وقال أبو الطيب أيضا [2]: " قال التوزى : ومن الأضداد ثُبْت الرجل إذا أعطيته من الثواب ، وأثبته إذا طلبت نواله. قال أبو حاتم : ولا أعرف الثانى إلا توهما".

أما الأصمعى فوجدت عنده مثالا لو صح وضَعَه مع أبى عبيدة والتوزى . قال [3]: " قسط : جار . وأقسط بالألف: عدل لا غير . قال الله جل ثناؤه: (وأقسطوا إن الله يحب المقسطين) أى العادلين . وقال فى الجائرين: (وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا).. ". ويخيل لى أن فى العبارة سقطا ، وتتمتها : قسط : جار ، وقسط : عدل . وأقسط بالألف : عدل لا غير " بدليل عبارة (لا غير) وبدليل ورودها على هذه الصورة عند ابن السكيت الذى يروى كثيرا من الأضداد عن الأصمعى ، وورودها كذلك عند غيره.

٣ – الألفاظ التى تتفق فى الصيغة والحدث ، وتختلف فى نسبته إلى من قام به أو من وقع عليه. ومثالها فَعيل التى تدل على الفاعل

---

(١) ١١٥ . وأورده ابن الأنبارى ٢٩١ .

(٢) ١٢٤.

(٣) ٢١ وأورده قطرب ٩٨ ، وابن السكيت٢٩٣ وابن الأنبارى ٢٦ وأبو الطيب ٥٩٤ ، وابن الدهان ١٧ ، والصغانى ٦٢٥.

والمفعول. قال[1]: " الرَّبيبة : التى تربَّب. والربيبة : التى تربِّب. قال الله عز وجل فى الربيبة: " وربائبكم اللاتى فى حجوركم".

وصيغة فَعول ، قال[2]: " ومنها قول الله عز وجل : (فمنها ركوبهم). لما يُركَب . وركوب للفاعل أيضا مثل ضَروب وقتول . وقالوا : مكان ركوب : أى مركوب . وقال الآخر : « يَدعْن صَوّان الحصى ركوبا » أى مركوبا. طريق ركوب، وطرق رُكُب. وقال أوس :

تضمنها وهم ركـوب كأنها إذا ضم جنبيه المخارم رزدق

وهو الصف من الناس إذا انقطعوا ، وهو بالفارسية رَزْده".

وصيغة فاعل أيضا ، قال[3]: " وقد جاءوا بفاعل فى معنى مفعول ضدا، قالوا : سِرٌّ كاتم، أى مكتوم ، وأمر عارِف، وما أنت بحازِمِ عقل: أى محزوم عقل، وهذه تطليقة بائنة : أى مبانة فيها.

أخبرنا الثقة : ومثله قول الله جل وعلا : (لا عاصم اليوم من أمر الله) كأنه يريد لا معصوم، و (هو فى عيشة راضية) من ذلك أى مرضية، وقد يجوز أن يكون المعنى هى راضية لأهلها..". ويرى بعض النحويين أن العبارات تحتوى على فاعل مقدر بعد الصفات فالتقدير عنده سر كاتمه صاحبه أو سامعه وأمر عارفه الناس .. الخ .

ووافق اللغويون قطربا فى عد هذا النوع من الأضداد ، وأدخلوه فى كتبهم. وتنبه بعضهم إلى جمع الألفاظ المختلفة تحت صيغتى فعول وفعيل ، وفرقها

---

(١) ٨٤ ، وأورده الأصمعى ٨٠ ، وأبو حاتم ١٧٤ ، وابن السكيت ٣٥٣ ، وابن الأنبارى ٨٥ وأبو الطيب ٣١٠ ، وابن الدهان ١١، والصغانى ٤٧٢ .

(٢) ١٣ . وأورده الأصمعى ٩٠ ، وأبو حاتم ١٥٤ ، وابن السكيت ٣٦٢ ، وابن الأنبارى ٢٣٩ وأبو الطيب ٣٠٦ ، وابن الدهان ١٧، والصغانى ٤٨١ .

(٣) ٣٣ — ٤٤.

بعضهم الآخر. فجمع قطرب معظم صيغ فعول وعقد لها عنوانا خاصا بها ، ولم يجمع صيغ فعيل. واتبعه في الأمرين أبو حاتم، حتى اشتركا في كثير من الألفاظ التي أوردها (١٥٤ - ١٦٣). وجمع الأصمعي بعض صيغ فعول دون عنوان (٨٧ - ٩١) وأهمل صيغ فعيل. فاتبعه ابن السكيت.

وأضاف أبو حاتم صيغة فَعّال، التي تطلق على الفاعل والمفعول إليه. قال[1]: "التواب : التائب الفاعل . والتواب : الله تعالى. قال : (وإن الله تواب حكيم). وقال الله تعالى: (إن الله يحب التوابين)".

ويجدر بنا أن نلاحظ أن الأحداث التي تدل عليها هذه الألفاظ أو أغلبها تحتاج إلى الاشتراك ولا يمكن أن تقع لفرد واحد. فالتربية مثلا تحتاج إلى من يقوم بها وإلى من تقع عليه، والركوب يحتاج إلى راكب ومركوب .. إلخ .

٤ - الألفاظ المشتركة المعنى المختلفة مظاهره ، مثل قول قطرب [2]: "أهنف الرجل إهنافا - بالنون والتاء : ضحك ضحكا رويدا. وأهنف أيضا: بكى. ويقال : تهانف الرجل تهانفا : إذا ضحك ضحكَ تعجُّب ". وقال ابن الأنباري : " تهانف معناه قال : إيها وإيها في البكاء ". والواضح أن الإهناف هو الحركة والصوت اللذين يصدران من الباكي والضاحك، فالمعنى واحد، غير أن مظاهر مختلفة تتصل به . ومثله المأتم كما رأينا.

ولم ينفرد قطرب بهذا النوع ، بل وُجد عند غيره من أصحاب الأضداد . فقد أورد الأصمعي في كتابه طرب، التي مر بنا نقد ابن الأنباري لها. ولم أجد عندَ أبي حاتم من هذا النوع إلا ما نقله من قطرب وأبي زيد . مثال ذلك قوله[3]: " قال أبو زيد : طبخته: إذا

---

(١) ١٩٦، وأورده ابن الأنباري ٣٣٨، وأبو الطيب ١١ ، وابن الدهان ٨ ، والصغاني ، ٤١١ .

(٢) ٥٢ ، وأورده ابن الأنباري ٢٥٨ ، وأبو الطيب ٦٨٣ ، وابن الدهان ٢١ .

(٣) ٢١١ . وأورده أبو الطيب ٤٦٢ ، والصغاني ٥٥٤ ، ووضعه ابن الأنباري في أشباه الأضداد ١٨٥ .

شويته ، وكذلك إذا طبخته في القِدْر . قال: ويقال ، طبخته الشمس أى أحرقته ، وطبخته في التَّنُّور : أى شويته .." فالمراد بالطبخ الإنضاج، سواء أكان بالشى أم بالغلى فى القدر ..

والغريب أن ابن الأنبارى الذى نقد كثيرا مما ذكره غيره، وقع هو نفسه فيه، ورضى عن كثير منه. ومن أغرب ذلك قوله [1]: " الصلاة من الأضداد . يقال للمصلى من مساجد المسلمين صلاة، ويقال لكنيسة اليهود صلاة . قال الله عز وجل . (يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى) أراد لا تقربوا المصلى، هذا تفسير أبى عبيدة وغيره. وقال عز ذكره · (لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد) والصلوات عنى بها كنائس اليهود، واحدتها صلاة.." فالصلاة موضع صلاة الإنسان، مسلما كان أو مسيحيا أو يهوديا أو غيرهم.

ومثل هذا النوع أيضا فى أضداد أبى الطيب، وابن الدهان، والصغانى، بسبب كونها تستهدف الجمع ، فهى تورد ما أوردته الكتب السابقة عليها. بل أضاف بعضها ألفاظا جديدة لم أرها فيما بين يدى من كتب . ومثالها ما أورده الصغانى فى قوله [2]: العَجْباء : التى يتعجَّب من حسنها، والتى يتعجب من قبحها". واللفظ غنى عن التعليق، فالواجب أن يفسر بأنه التى يتعجب منها، سواء كان ذلك التعجب للحسن أو القبح أو غيرهما.

٥ - المشترك المعنى المختلف المفهوم تبعا لاختلاف المتعلقات، مثل قول قطرب [3]: " ومنه أيضا راغ عليهم : أتاهم. وراغ عنهم: ذهب عنهم وتنحى. وقال الله جل ثناؤه (فراغ عليهم ضربا باليمين) أى أقبل عليهم" وقد نقد بعضهم قطربا على هذا اللفظ، قال ابن الأنبارى: " قال الفراء : لا يقال لمن رجع · راغ ، إلا أن يكون مُخفيا رجوعه.. وقال غير الفراء: لا يكون راغ أبدا

(١) ٢٢٥ . وانظر ٢٢٧ .

(٢) ٥٧٤.

(٣) ٢٠٩ ، وأورده أبو الطيب ٣٢٨، وابن الدهان ١١ ، ونقده ابن الأنبارى ٩٢ .

إلا بمعنى رجع على السبيل الذى ذكر الفراء ، وليس بحرف من الأضداد على ما ادعى قطرب ". وواضح أن معنى راغ واحد، وهو الحركة الخفية، ثم يحدد الحرف الذى يوضع بعد الفعل اتجاه هذه الحركة. فإذا كان عن، كانت الحركة إدبارا وابتعادا.

ولكن قطربا لم ينفرد بهذا النوع من الأضداد،بل وجد عند غيره من المؤلفين فى الأضداد. ومثاله عند الأصمعى ما جاء فى قوله [1]: " وحكى أن الإقهام الجوع، وأنشد : ٭ وهو إلى الزاد شديد الإقهام ٭ يقال أقهم عن الطعام وأقهى: إذا لم يشتهه. وأورد ابن السكيت وأبو حاتم وابن الأنبارى وابن الدهان والصغانى ما ذكره سابقوهم من هذا النوع، دون تعليق أو نقد. وأحسن من نقد هذا النوع هو عبد الفتاح بدورى فى قوله : " جلىّ ألا تضاد فى شىء من الرغبة أو الروغ أو الانصراف (فى قولنا رغبت فيه وعنه، ورغت عليه وعنه، وانصرفت إليه وعنه) إنما الضدية بين معنى فى وعن ، وعلى وعن، وإلى وعن . وهذه الحروف ألفاظ مختلفة، ليست من الضدية التى نبحث عنها فى شىء، فأين اللفظ الذى له معنيان متقابلان ".

٦ – الألفاظ التى اختلفت فى العدد الذى تدل عليه قال قطرب [2]: "وقالوا أيضا : الزوج، الفرد ، يقال : عندى زوجان من خِفاف أى خُفّان. والزوج: الزوج أيضا ". وعلق ابن الأنبارى (٢٤٠) على ذلك بقوله : " وهذا عندى خطأ ، لا يعرف الزوج فى كلام العرب لاثنين ، إنما يقال للاثنين زوجان. بهذا نزل كتاب الله ، وعليه أشعار العرب. قال الله عز وجل " وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى) أراد بالزوجين الفردين ، إذ ترجم عنهما بذكر وأنثى. وقال عز ذكره : (ثمانية أزواج من الضأن اثنين، ومن المعز اثنين)

---

(١) ١٣ . ورواه قطرب ١٠٤ ، وابن السكيت ٢٨٨، وابن الأنبارى ١٤٤ ، وأبو الطيب ٥٩٦ وابن الدهان ١٨ ، والصغانى ٦٣٦ .

(٢) ١١٢ ، وأورده أبو الطيب ٣٣٨ والصغانى ٤٩٢ ونقده ابن الأنبارى ٢٨١ .

وكذلك ما بعدهما، فالأزواج معناها الأفراد لا غير. والعرب تفرد الزوج في باب الحيوان، فيقولون : الرجل زوج المرأة ، والمرأة زوج الرجل.. فمن ادعى أن الزوج يقع على الاثنين فقد خالف كتاب الله جل وعز ، وجميع كلام العرب، إذ لم يوجد فيهما شاهد له، ولا دليل على صحة تأوله". وأظن أن سبب هذا الخلط، أن اللفظ لا يطلق على كل فرد وإنما الفرد الذى لابد من اقترانه بآخر . وعلى أى حال فاللفظ لا يحتوى على معنيين متضادين، وإنما اختلف الناس في العدد الدال عليه فحسب: واحد أو اثنين ، وليس هذا بتضاد.

ووقع فيما وقع فيه قطرب من اللغويين أبو عبيدة ، قال ابن الأنبارى [1]: "ضِعْف حرف من الأضداد عند بعض أهل اللغة ، يكون ضعف الشيء مثله ويكون مثليه . قال الله عز وجل (يضاعف لها العذاب ضعفين) قال أبو العباس، عن الأثرم، عن أبى عبيدة معناه يجعل العذاب ثلاثة أعذبة، قال : وضعف الشيء مثله، وضعفاه مثلاه. وقال أبو عبد الله هشام بن معاوية : إذا قال الرجل : إن أعطيتنى درهماً فلك ضعفاه ، معناه فلك مثلاه قال : والعرب لا تفرد واحدهما، إنما تتكلم بهما بالتثنية . وقال غير هشام وأبى عبيدة : يقع الضعف على المثلين. قال أبو بكر : وفى كلام الفراء دلالة على هذا ". وفى هذا القول مغالطة ، لأن ضعف الشيء إما أن يراد الشيء معه فيصير الجمع مثلى الأول ، وإما أن يراد وحده فيكون مثله فحسب.

وكذلك سار فى طريقهما ابن الأنبارى، إذ ارتضى قول الفراء [2]: " مِثْل حرف من الأضداد ، يقال : مثل ، للمُشبه للشيء والمُعادِل له، ويقال : مثل ، للضِّعْف فيكون واقعا على المثلين . زعم الفراء : أنه يقال رأيتكم مثلكم . يراد به رأيتكم ضعفكم، ورأيتكم مثليكم يراد به رأيتكم ضعفيكم. من هذا قول الله عز وجل : (يرونهم مثليهم رأى العين) معناه يرى المسلمون المشركين ضعفيهم،

---

(١) ٧٨ . وأورده ابن الدهان ١٤ ، والصغاني ٥٥١ .

(٢) ٧٩ . وأوردهُ ابن الدهان ١٩ ، والصغاني ٦٥٧ .

أى ثلاثة أمثالهم، لأن المسلمين كانوا يوم بدر ثلاث مئة وأربعة عشر رجلا، وكان المشركون تسع مئة وخمسين رجلا. فكان المسلمون يرون المشركين على عددهم ثلاثة أمثالهم" وفى هذا القول ما فى اللفظ السابق من خطأ فى الشرح .

ويقرب من هذا الضمير (نحن) ، الذى أدخله ابن الأنبارى فى أشباه الأضداد قال [1]: " ومما يشبه الحروف الأضداد نحن ، يقع على الواحد والاثنين والجمع والمؤنث فيقول الواحد: نحن فعلنا. وكذلك يقول الاثنان والجميع والمؤنث. والأصل فى هذا أن يقول الرئيس الذى له أتباع يغضبون بغضبه، ويرضون برضاه، ويقتدون بأفعاله: أمرنا ونهينا ، وغضبنا ورضينا،لعلمه بأنه إذا فعل شيئا فعله أتباعه. ولهذه العلة قال الله جل ذكره : أرسلنا ، وخلقنا. ثم كثر استعمال العرب لهذا الجمع حتى صار الواحد من عامة الناس يقول وحده : قمنا وعدنا، والأصل ذاك ".

ومهما يكن ، فليس هذا النوع من الأضداد، وأسوتنا فى ذلك من أهمله من اللغويين أمثال الأصمعي وأبى حاتم وابن السكيت وأبى الطيب..

٧ – الأضداد فى اللغات. قال قطرب [2]: " المُعْصِر – فى لغة قيس وأسد – التى قد دنت من الحيض . وأعصرت المرأة إعصارا . وقد دنا إعصارها. وبلغة الأزد: التى قد ولدت أو تعنّست ". وسار على هذا المسلك جميع المؤلفين فى الأضداد ، وإن عارضهم بعض أصحاب المعاجم مثل ابن دريد . ومثال هذا النوع عند الأصمعى قوله [3]: فى المادة الأولى من كتابه : " القُرْء عند أهل الحجاز الطهر، وعند أهل

(١) ١١٣ . وأورده ابن الدهان ٢٠ .

(٢) ١٠١ . وأورده ابن الأنبارى ١٣٦ وأبو الطيب ٥٠٩ وابن الدهان ١٥ والصغانى ٥٨٤ .

(٣) وأورده قطرب ٩٩ ، وأبو حاتم ١٣٤ ، وابن السكيت ٢٧٦، وابن الأنبارى ٨ ، وأبو الطيب ٥٧١ ، وابن الدهان ١٧، والصغانى ٦٢٠ .

العراق الحيض.." وفى أضداده أيضا [1]: " قال أبو زيد : السُّدفة فى لغة تميم الظلمة ، وفى لغة قيس الضوء. قال ابن مقبل:

وليلة قد جعلت الصبح موعدها   بصدرة العنس حتى تعرف السدفا

أى أسير حتى الصبحَ فترى ضوء الصبح . وقال العجاج : " ٭ وأقطع الليل إذا ما أسدفا ٭ أى أظلم ". وقال أبو حاتم [2]: " العَنْوة : القهر . وأهل الحجاز يقولون الطاعة . يقال : أخذته عنوة أى قهرا ، وقال أهل الحجاز طاعة ، وأنشدوا:

هل انت مُطيعى أيها القلب عنوة   ولم تُلْحَ نفسٌ لم تُلَم فى اختيالها

وقال كثير :

تجنبت ليلى عنوة أن تزورها   وأنت امرؤ فى أهل ودك تارك

أى طائعا " وكل ما ذكره السالفون من أضداد اللغات نجده عند اللاحقين منهم مثل ابن السكيت وابن الأنبارى وأبى الطيب وابن الدهان والصغانى.

٨ – ألفاظ التثنية التى لا تفرد. قال قطرب [3]: " الصَّرْعان : ناحيتا النهار، أى أوله وآخره . ومنه مصراعا الباب يلمان أيضا ، ضدان. ذلك لأول النهار وآخره ". وتابعه فى هذا ابن الدهان وحده. واعترض عليه ابن الأنبارى قائلا: " وقال غيره: الصرعان الغداة والعشى جميعا، ولا يقع على واحد منهما دون صاحبه . وكذلك القَرْنان والبَرْدان كما يقال لليل والنهار: الملَوان ، والفَتَيان، والرِّدفان، والعَصْران، والجَديدان ، والأَجدّان ،وابناسُبات". وأغفله غيرهما، مما يدل على أن القدماء أنفسهم لم يرضوا عن هذا النوع.

---

(١) ٤٣ . وأورده قطرب ٥ ، وأبو حاتم ١١٤ ، وابن السكيت ٣١٦، وابن الأنبارى ٦٤ ، وأبو الطيب ٣٤٦ ، وابن الدهان ١٢ ، والصغانى ٥٠٠ .

(٢) ١٨٥ . وأورده قطرب ١٧٣ ، وابن الأنبارى ٤٢ ، وأبو الطيب ٤٩١ وابن الدهان ١٥ .

(٣) ١٠٦ ، وابن الدهان ١٤ ، وابن الأنبارى ١٢٧.

Obeikandl.com

٩ - المشترك من الألفاظ دون أن يتضاد. ومثاله ما أوردته آنفا من جمرت الشعر، وللمرأة جماران. ونقد ابن الأنبارى له. وبرغم ذلك لم يبرأ بعض اللغويين من الخلط بين الألفاظ ذات المعانى المتضادة والألفاظ ذات المعانى المختلفة فقط، كما فعل قطرب فهذا هو الأموى يقول [1]: " نار غاضية : أى عظيمة . وليلة غاضية : شديدة الظلمة". والتضاد غير واضح فيه، إلا إذا فهمنا أن الغاضبة هى النار الشديدة الإضاءة.

ووردت فى أضداد الأصمعي كلمتان لا تمتان إلى الأضداد ، هما ضنين وظنين، قيل [2]: " وأما قوله : " وما هو على الغيب بضنين " و " بظنين " فهما وجهان معروفان. فالضنين البخيل، يقال : ضننت أضن ضنا . والظنين المتهم، وهو من الظّنة أى التهمة .." فهما أقرب إلى كتب الإبدال منهما إلى كتب الأضداد . ولذلك لم يوردهما أحد ممن جاء بعده .

وورد فى أضداد الأصمعي تفسير عارض للفظ الانقياص ، إذ قيل فى مادة (قَلص) [3]: " ويقال قد قلص الظل : إذا قصر.. وقلص ماء البئر: إذا جَمَّ وكثر. قال الراجز :

يا ريها من بارد قلاص قد جم حتى هم بانقياص

والانقياص : أن تنشق الركية طولا أو السن، قال أبو ذؤيب الهذلى :

فراق كقيص السن فالصبر إنه لكل إناث عثرة وجبور "

وسها ابن السكيت فى غمرة تتبعه لألفاظ الأصمعي، فالتقط اللفظ، وخصص له مكانا بين أضداده، بعد مادة قلص . ولكن أحدا غيره لم يقع فى هذا السهو..

---

(١) الأصمعي ٦٢ ، وابن السكيت ٣٣٦ ، وابن الأنبارى ٢٠٩ ، وابن الدهان ١٦ ، والصغانى ٥٥٩ ، وأبو الطيب ٥٢٤ .

(٢) ١٠٩.

(٣) ١١ ، وابن السكيت ٢٨٦ .

١٠ – الألفاظ المختلف في تفسيرها . قال ابن الأنباري [1]: " فوق حرف من الأضداد ، يكون بمعنى أعظم كقولك : هذا فوق فلان في العلم والشجاعة ، إذا كان الذي فيه منهما يزيد على ما في الآخر، ويكون فوق بمعنى دون كقولك: إن فلانا لقصير وفوق القصير، وإنه لقليل وفوق القليل، وإنه لأحمق وفوق الأحمق، أي هو دون المذموم باستحقاقه الزيادة من الذم . ومن هذا المعنى قول الله عز وجل (إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها) يقال : معنى قوله : " فما فوقها " فما دونها . ويقال : معناه فما هو أعظم منها . وقال الفراء : الاختيار أن تكون فوق في هذه الآية بمعنى أعظم، لأن البعوضة نهاية في الصغر، ولم يدفع المعنى الآخر ولا رآه خطأ . وقال قطرب : فوق تكون بمعنى دون مع الوصف كقول العرب: إنه لقليل وفوق القليل ، ولا تكون بمعنى دون مع الأسماء كقول العرب: هذه نملة وفوق النملة، هذا حمار وفوق الحمار، قال : لا يجوز أن تكون فوق في هاتين المسألتين بمعنى دون لأنه لم يتقدمه وصف ، وإنما تقدمته النملة والحمار وهما اسمان ..."

وهذا التعليل لجعل " فوق " من الأضداد خاطيء ، فهذا اللفظ لا يكون بمعنى " دون " أبدا. وعبارة إنه لأحمق وفوق الأحمق، أي يزيد عنه حمقا ، لا دونه حمقا. فالمتكلم بهذه العبارة يريد منها المبالغة في وصفه بالحمق لا التقليل وكذا حال " فوق " مع جميع الصفات . أما مع الأسماء فاختلف فيها، ولكننا نقول أيضا إنها بمعنى " أعظم " لا غير . فمعنى الآية " إن الله عز وجل لا يستحيي أن يضرب الأمثال بالبعوضة، وما هو أكبر منها حجما من الحشرات والحيوان، مثل الذباب والطير والكلب والحمار، التي استمد منها الأمثلة في الآيات المختلفة. فإذا كان يقصد من البعوضة الضآلة والصغر، فالمعنى أنه سبحانه وتعالى لا يستحيي أن يضرب الأمثال بالبعوضة وما هو أعظم منها صغرا

---

(١) ١٥٣ ، وأورده أبو حاتم ١٧٨ ، وأبو الطيب ٥٣٦، وابن الدهان ١٧ ، والصغاني ٦١٦ ، وانظر قطربا ١٦٣ .

وضآلة شأن. فالتفسيران يبينان أن " فوق " لم تخرج عن معناها الأصلى ، وهو " أعظم ".

ونلحق بهذا النوع قول قطرب الذى يثير منذ ابتسامة [1]: قالوا : ليال دُرْع: سود الصدو وبيض الأعجار، وليال درْع: بيض الصدور وسود الأعجاز ، وشاة درْعاء يا هذا : بيضاء المؤخَّر سوداء المقدَّم، وشاة درعاء . سوداء المؤخر بيضاء المقدم " وقال ابن الأنبارى معلقا " وتابع قطربا على هذا جماعة من البصريين ".

فماذا كان يضيره لو فسر الليلة الدرعاء والشاة الدرعاء كما فعل عبد الفتاح بدوى بما اختلط بياضها وسوادها كأنها تلبس درعا، دون إشارة إلى المقدمة والمؤخرة فاستراح من عدها فى الأضداد . وما أكثر الأضداد التى من هذا النوع .

١١ - الأفعال ذات الدلالة الزمنية المختلفة ، قال قطرب [2]: " وقالوا فعل: لما وقع ، وفعَل . لما لم يقع . وفى التفسير (مُنع منا الكيل) . أى يمنع منا و (نادى أصحاب النار) أى ينادون . وقال الحطيئة :

شهد الحطيئة حين يلقى ربه ... أن الوليد أحق بالعذر

يريد يشهد، لأنه قال : حين يلقى ربه، ولم يلقه بعد.

" ويكون أيضا يفعل : لما وقع ، ولما لم يقع ، مثل قوله:

ولقد أمر على اللئيم يسبنى ... فمضيت عنه وقلت لا يعنينى

كأنه قال : ولقد مررت، لأنه قال : فمضيت عنه. وقال الآخر :

---

(١) ١٤٢ . وأورده أبو حاتم ١٣٢ ، وابن الأنبارى ١٦٥ ، وأبو الطيب ٢٧١ . وابن الدهان ١٠ ، والصغانى ٤٦٥ .

(٢) ١٢١ .

وإني لآتيكم تَشكُّرَ ما مضى　　من الأمر واستيجابَ ما كان في غد

أي ما يكون في غد ..".

وقال أيضا[1] : " ومن الأضداد - وهي آخره (يريد آخر الكتاب) -: إذ في القرآن لما مضى في معنى إذا ، وإذ لما يستقبل ويجيء أيضا في معناها. وقال الله عز وجل (ولو ترى إذ فزعوا فلا فوت) و (لو ترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم) المعنى إذا يفزعون وإذا يوقفون ولم يوقفوا بعد . وقال أيضا : (وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم) وكان القول يكون في القيامة . فهذا لما لم يقع . وقال أبو النجم :

ثم جزاه الله عنا إذ جزى　　جنات عدن في العلالي العلى

كأنه قال : إذ يجزى ، لأن هذا لم يقع بعد... وقال أوس :

والحافظ الناسَ في الزمان إذا　　لم يرسلوا تحت عائذٍ رُبَعا

وهبت الشمأل البليل وإذ　　بات كَميع الفتاةِ ملتفعا

فقال : إذ وإذا في معنى واحد .." .

وارتضى أبو عبيدة هذا النوع من الأضداد ، وأدخله في كتابه . قال ابن الأنباري [2]: " قال أبو عبيدة : كان من الأضداد، يقال : كان للماضي، وكان للمستقبل. فأما كونها للماضي فلا يحتاج لها إلى شاهد، وأما كونها للمستقبل فقول الشاعر :

فأدركت من قد كان قبلي ولم أدع　　لمن كان بعدي في القصائد مَصْنعا

أراد لمن يكون بعدي . قال وتكون كان زائدة، كقوله تعالى (وكان الله غفورا رحيما) معناه والله غفور رحيم .

---

(١) ٢١٨ .

(٢) ٢٨ - ٢٩ .

" قال أبو عبيدة : ويكون من الأضداد أيضا ، يقال : يكون للمستقبل ، ويقال : يكون للماضى . فكونه للمستقبل لا يحتاج إلى شاهد، وكونه للماضى قول الصَّلتان يرثى المغيرة بن المهلب :

قل للقوافل والغُزاة إذا غزوا والباكرين وللمُجِدِّ الرائح
إن السماحة والشجاعة ضُمِّنا قبرا بمرو على الطريق الواضح
فإذا مررت بقبره فاعقِر به كُوم الجِلاد وكلَّ طِرف سابح
وانضح جوانب قبره بدمائها فلقد يكون أخا دمٍ وذبائح

أراد : فلقد كان.

" قال أبو بكر : والذى نذهب إليه أن " كان ويكون " لا يجوز أن يكونا على خلاف ظاهرهما، إلا إذا وضح المعنى . فلا يجوز لقائل أن يقول : كان عبد الله قائما ، بمعنى يكون عبد الله. وكذلك محال أن يقول : يكون عبد الله قائما، بمعنى كان عبد الله، لأن هذا ما لا يفهم، ولا يقوم عليه دليل. فإذا انكشف المعنى حُمل أحد الفعلين على الآخر، كقوله جل اسمه (كيف نكلم من كان فى المهد صبيا) معناه : من يكون فى المهد فكيف نكلمه ، فصلح الماضى فى موضع المستقبل لبيان معناه . وأنشد الفراء :

فمن كان لا يأتيك إلا لحاجة يروح لها حتى تَقضَّى ويَغتدى
فإنى لآتيكم تشكر ما مضى من الأمر واستيجاب ما كان فى غد

أراد ما يكون فى غد. وقال الله عز ذكره (ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار) فمعناه : وينادى ، لأن المعنى مفهوم . وقال جل وعز : (يا أبانا منع منا الكيل) فقال بعض الناس : معناه يمنع منا. وقال الحطيئة :

شهد الحطيئة يوم يلقى ربه أن الوليد أحق بالعذر

معناه : يشهد الحطيئة . وقول أبي عبيدة : كان زائدة في قوله تبارك وتعالى : (وكان الله غفورا رحيما) ليس بصحيح ، لأنها لا تلغي مبتدأه ناصبة لخبر، وإنما التأويل المبتدأ عند الفراء ، " وكائنٌ الله غفورا رحيما " فصلح الماضي في موضع الدائم، لأن أفعال الله جل وعز تخالف أفعال العباد، فأفعال العباد تنقطع، ورحمة الله جل وعز لا تنقطع، وكذلك مغفرته وعلمه وحكمته . وقال غير الفراء : كأن القوم شاهدوا الله مغفرة ورحمة وعلما وحكمة ، فقال الله جل وعز : (وكان الله غفورا رحيما) أي لم يزل الله عز وجل على ما شاهدتم "(١) .

ويرى الباحثون البلاغيون أن هذه الأفعال لم تخرج عن زمنها، سواء أدلت على الماضي أم على المضارع ، فهي مختلفة بمعناها الأصيل . وإنما استعمال المضارع في الماضي التفات ذهني، كي يبرز القائل الصور والأحداث الماضية ، ويجلبها تحت سمع السامع والقارئ وبصرهما، وكأنها تحدث في الحاضر ، لتكون أشد تأثيرا فيه، وانطباعا في ذهنه . واستعمال الماضي في الزمن الحاضر التفات ذهني ، كي يبرز القائل تأكده من حدوث هذه الأفعال في المستقبل،وتيقنه من ذلك ، وكأنما قد وقعت حقا وانتهى الأمر. أما استعمال الأفعال الماضية والمضارعة في غير زمنها في بعض الشعر لغير غرض بلاغي ، فإنما هو أمر فرضته – في غالب الظن – الضرورة ، وليس بالتوسع اللغوى ولا الأضداد.

١٢ – عبارات التفاؤل والتطير ، قال قطرب (٢): منه أيضا: رجل أعور : للذاهب العين ، ورجل أعور : للحديد البصر . ويقال غراب أعور ، لحدة بصره ، وقال الشاعر : ٭ في الدار تحجال الغراب الأعور ٭ " وقال (٣):

---

(١) أورده أبو حاتم ١٩٨ ، وابن الدهان ١٨ ، والصغاني ٦٤٦ .

(٢) ٧٥ . وانظر ابن الأنباري ٢٦٩ ، وأبا الطيب ٥٠٨ ، وابن الدهان ١٦ .

(٣) ٧٦ ، ١٧ ، وانظر أبا الطيب ٦٣ ، ١٢ ، وابن الدهان ٧ .

" وقالوا: البصير : لصحيح البصر ، والبصير : الأعمى . والآدم : الأبيض ، والظبيه الأدماء : البيضاء ، وآدم : أسود ، وبعير آدم : حسن البياض شديد سواد المقلتين ".

ووجد هذا النوع عند مؤلفي الأضداد جميعا ، وعند غيرهم، قيل في أضداد الأصمعي (١) " قال أبو زيد . الناهل في كلام العرب : العطشان. والناهل : الذي قد شرب حتى روى ، قال النابغة .

الطاعن الطعنةَ يوم الوغى ينهل منها الأسل الناهل

أي يروى منها العطشان . وقال الأصمعي : الأنثى ناهلة، والجمع نهال ، ورجل مُنْهِل : أي مُعْطِش ، وإبل نِهال : أي عِطاش ، يتطيرون بها من العطش فيقولون : هذه إبل ناهلة ..".

وقال الأصمعي (٢) : " سموا المفازة مفعلة من فاز يفوز : إذا نجا ، وهي مَهْلكة ، قال الله جل ثناؤه: (فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب) أي بمنجاة . وأصل المفازة مهلكة، فتفاءلوا بالسلامة والفوز، كقولهم للملدوغ سليم ،والسليم : المعافى".

وأضاف أبو عبيدة عبارات التطير، إذ قيل في أضداد الأصمعي (٣) : " قال أبو عبيدة يقال . فرس شوهاء . أي حسنة ، ولا يقال للذكر من هذا شيء . ويقال : لا تشوّه علي ، أي لا تقل : ما أفصحك، فتصيبني بالعين. قال : وما سمعتها إلا في هذين الحرفين ، وأما القبح فيقال : قد شوه الله خلقه ، ورجل أشوه ، وامرأة شوهاء، قال الحطيئة :

---

(١) ٤٥ . وأورده قطرب ٥٥ ، وأبو حاتم ١٣٥ ، وابن السكيت ٣١٨ ، وابن الأنباري ٦٥ ، وأبو الطيب ٦٣٧ ، وابن الدهان ٢٠ ، والصغاني ٦٨٠.

(٢) ٣٨ . وأورده ابن السكيت ٩ ٣ ، وابن الأنباري ٩٥ ، وأبو الطيب ٥٦٠ والصغاني ٦١٥.

(٣) وأورده أبو حاتم ... وابن الأنباري ١٨١ ، وأبو الطيب ٤٠٨ ، وابن الدهان ١٣ .

obeikandl.com

أرى ثمّ وجها شوه الله خلقه فقبِّح من وجه وقبح حامله

وقال أبو دواد يذكر فرسا:

فهي شوهاء كالجوالق فوها مستجاف يضل فيه الشكيم "

وأورد أبو حاتم وغيره هذا اللفظ أيضا ، وفسره الأول تفسيرا واضحا، إذ قال: " قال أبو عبيدة : مهرة شوهاء: قبيحة وجميلة . وقال أبو حاتم : لا أظنهم قالوا للجميلة : شوهاء إلا مخافة أن تصيبها عين ، كما قالوا للغراب : أعور لحدة بصره ".

وهذا النوع من التعبير ليس من الأضداد أيضا ، لأن قائله يريد أن يوهم السامع بحقيقة اللفظ لا ضده ، أو يوهم نفسه أيضا ، فهو حين يصف الملدوغ بالسليم يريد أن يوهم نفسه وسامعيه بأنه سليم معافى ولا خوف عليه . ولا يريد بأى حال من الأحوال أن يتصوره ملدوغا متألما. وكذا الحال فى بقية الألفاظ . وقد نقد عبد الفتاح بدوى هذا النوع فقال عنه: " إذا طبقنا بسائط علوم اللغة على أمثلة هذه الطائفة وجدنا المعنى الثانى مجازيا للكلمة. والأول هو المعنى الحقيقى ليس غير ، ومعنى الضدية لا يتحقق بين الحقيقة والمجاز لأنهما لا يتساويان فى فهمهما من الكلمة ، وإنما الذى يفهم هو المعنى الحقيقى فقط، ولا يفهم المعنى الثانى إلا بقرينته، وبالانتقال من المعنى الأول حتما ، فيفوت معنى الضدية" .

١٣ – صيغة أفعل قال قطرب [1] : " ومنه أيضا شكانى فلان فأشكيته : إذا شكاك فاعتنته، وقد يقولون أيضا فأشكيته، أى زدته شكوى. ويقال : شكا إلى ما لقى فما أشكيته إشكاء ، وقال الراجز:

تمد بالأعناق أو تلويها وتشتكى لو أننا نُشكيها "

---

(١) ٢٠١ . وأورده أبو حاتم ١٤٧ ،وابن السكيت ٣٦٥ ،وابن الأنبارى ١٤٠ ، وأبو الطيب ٣٩٠ ، وابن الدهان ١٣ ، والصغانى ٥٢٦ .

وارتضى الأصمعى هذا النوع ، وأدخله فى الأضداد ، قال [1] : " أطلبت الرجل : أعطيته ما طلب ، وأطلبته : ألجأته إلى أن يطلب ، ومنه قول ذى الرمة :

أضله راعيا كلبية صدرا عن مطلب وطُلى الأعناق تضطرب

يقول : بَعُد الماء منهم حتى ألجأهم إلى طلبه، ويروى : « عن مطلب قارب وُراده عُصَب » .

" ويقال : اشتكيت الرجل : إذا أتيت إليه ما يشكو منه، وأشكيته : نزعت شكايته .

قال الراجز :

تمد بالأعناق أو تلويها وتشتكى لو أننا نشكيها "

والأمر فى هذا يسير أيضا ، فالمعنى الأصلى فيها التعدية، قال الرضى [2] : "المعنى الغالب فى أفعل تعدية ما كان ثلاثيا "، فالمعنى الأصيل لأطلبَ ولأشكى جعله يطلب ويشكو . ولكن هذا الطلب، وهذه الشكوى ، كانا سببا فى الاستجابة ، أى إزالة أسباب الطلب والشكوى . فارتبط السبب (الشكوى) والمسبب (إزالتها) فى ذهن العربى، فربط بينهما فى لغته ،وأطلق عليهما لفظا واحدا . ولكن هذا اللفظ كان حقيقيا حين أطلقه على السبب ، وكان مجازيا حين أطلقه على المسبَّب ..

١٤ - صيغة تفعَّل ، قال قطرب [3] : " ويقال : تأثم فلان :كره الإثم ، وهو من لفظ الإثم ، وحَرِج أيضا يحرَّج " أثم ".

---

(١) ٩٢ . وأورده أبو حاتم ١٧٩ ، وابن السكيت ٣٦٤ ، وابن الأنبارى ٤٨ ، وأبو الطيب ٤٥٧، والصغانى ٥٦١ .

(٢) شرح الشافية ١ - ٨٦ .

(٣) ٩٠ .

وقال ابن الأنباري [1] : " وتأثم حرف من الأضداد ، يقال قد تأثّم الرجل إذا أتى ما فيه المَأثم ، وتأثم : إذا تجنّب المأثم ، كما يقال : قد تحوَّب الرجل إذا تجنب الحُوب ، ولا يستعمل الحوب في المعنى الآخر .." وقال أيضا تحنث حرف من الأضداد . يقال : تحنث الرجل : إذا أتى الحِنْث ، وقد تحنث إذا تجنب الحنث ...".

وقال الرضي [2]: " والأغلب في تفعّل معنى صيرورة الشيء ذا أصله، كتأهل وتألم .. أي صار ذا أهل ، وألم.. فيكون مطاوع فَعّل الذي هو لجعل الشيء ذا أصله إما حقيقة كما في ألبته فتألب، وأصلته فتأصل ، وإما تقديرا كما في تأهّل ، إذ لم يستعمل أهّل بمعنى جعل ذا أهل ". ومن الطبيعي أن هذه الصيغة تأتي من الأفعال التي تصلح فيها المطاوعة..

وقال الرضي أيضا [3]: إن تفعل تأتي للتكلف نحو تشجّع وتحلّم ، وما هو بشجاع ولا حليم. أي الصفة منتفية عنه مسلوبة منه، وللاتخاذ، ويشترط أن يكون أصل الصيغة اسما لا مصدرا مثل تَردّى وتوسّد من الرداء والوسادة . فهذا المعنى يأتي من الأشياء المادية لا المجردة . وتأتي أيضا للعمل المتكرر في مُهْلة نحو تجرّع وتفهّم. وكذلك بمعنى استفعل في الطلب، والاعتقاد في الشيء أنه على صفة أصله ، نحو تَنجّزته واستعظمته ،ومن الواضح أن الفعل فيهما متعد لا لازم ، وأخيرا تأتي للتجنب .

لو وضعنا هذه المعاني المختلفة لصيغة " تفعل " بجوار معنى التجنب ، لظهر لنا الفرق الجلي . فالصيغة فيها جميعا – ما عدا التكلف – متعدية لا لازمة، بخلاف الحال في معنى التجنب. فالاختلاف والتشابه إذن بين التكلف والتجنب.. والاثنان يفيدان السلب كما رأينا ، لأن متكلف الشيء يشعر بعدم

(١) ١٠٥ . وانظر أبا الطيب ١٧ ، وابن الدهان ٦ ، وأبا حاتم ٢٣١ .

(٢) ١١١ . وأورده ابن السكيت ٤٤٥ ، وابن الدهان ٩ .

(٣) شرح الشافية ١ : ١٠٤ – ١٠٧ .

وجوده فيه ، ولذلك يتكلفه. ولكن هناك أمرا ذاتيا فيهما يفرق بينهما، ذلك هو الأصل المشتقة منه الصيغة . فإذا كان الأصل مكروها فالصيغة للتجنب، مثل تأثم وتحوب. وإذا كان الأصل محبوبا فالصيغة للتكلف والتظاهر مثل تكرم وتحلم وتشجع . ويؤكد لنا ذلك أن الألفاظ الستة التى قيل إنها تأتى للتجنب مأخوذة من أمور مستكرهة ، وهى : تحنث، تأثم، تحرج ، تحوب ، تنجس، تهجد، والهجود مستكره للأتقياء الذين يجمل بهم أن يقضوا الليل فى العبادة وذكر الله ، ومن هنا وصفته بالاستكراه [1]: ولما كان العرب يستعملون هذه الصيغة فى أحد المعانى كانوا يحرمون استعمالها فى غيره إلا إذا كان لا يلتبس به، ولذلك قال الرضى[2]: " ليست هذه الزيادات قياسا مطردا، فليس لك أن تقول فى ظرف: أَظْرَفَ ، وفى نصر : أنصر...وكذا لا تقول : نَصَّر ولا دخَّل . وكذا فى غير ذلك من الأبواب، بل يحتاج فى كل باب إلى سماع استعمال اللفظ المعين ، وكذا استعماله فى المعنى المعين ، فكما أن لفظ أذهب وأدخل يحتاج فيه إلى السماع فكذا معناه الذى هو النقل مثلا، فليس لك أن تستعمل أذهب بمعنى أزال الذهاب ، أو عرَّض للذهاب ، أو نحو ذلك " ويدلنا على ذلك أنهم لم يرووا لنا شواهد على استعمال هذه الألفاظ فى غير التجنب . وصرح ابن الأنبارى بأن تحوب للتجنب وحده .

١٥ - الصيغ المتشابهة فى ظاهرها المتضادة المعانى وفقا لاختلاف تصريفها وأصلها .

قال قطرب [3] : " ومنه أيضا أردأت الرجل: أعنتُه، وأرديته، وقول الله جل ثناؤه (رِدْءًا يصدقنى) وقالوا أيضا : أرديته : أعنتُه، وأرديته: أهلكته " وأظهر أمثلة من هذا النوع صيغة اسمى الفاعل من " افتعل " و " انفعل " من

---

(١) انظر تاج العروس : حنث .

(٢) شرح الشافية ١ - ٨٤ .

(٣) ١٨٥.

الأجوف والمضاعف . وقد زاد هذه الفئة أبو حاتم فى أضداده ، قال [1]: " ما كان من المعتل من بنات الياء والواو التى فى موضع العين، أومن المضاعف على مفتعِل ومفتعَل، لفظهما فيه سواء، كقولك : مختار ، للفاعل والمفعول به ، اخترت عبد الله من الرجال فأنا مختاره وهو مختار ، وكذلك المُزدان من الزّيْن، والمُعتاض ، والمقتال، والمعتدّ، الفاعل والمفعول به، يقال : اعتدّ فلان شيئا ، فالرجل معتدّ، والشىء معتد. وكذلك المنقاد ، نقول : انقدت لك ، فأنا منقاد (لك) . والأصل : أنا مُنقوِد لك ، وأنت مُنقوَد لك . قال أبو حاتم : " والأصل فى المختار إذا كان فاعلا : مختير، فكرهوا حركة الياء فأسكنوها ، ثم قلبوها ألفا للفتحة قبلها. وأما مختار مفتعل، فالأصل : مختيَر ، الياء مفتوحة فكرهوا حركتها فأسكنوها ثم قلبوها ألفا. وكذلك مكتال ، لأنه من بنات الياء ، من كال يكيل، فكرهوا حركة الياء فأسكنوها،ثم قلبوها ألفا لانفتاح ما قبلها . ومعتد ، أصلها معتدِد ، بالكسر للفاعل، ومعتدَد ، بالفتح للمفعول به ، فتحركت الدالان ، فأسكنوا الأولى ثم أدغموها فى الثانية فاستوت اللفظتان".

ورضى التوزى وابن الدهان عن هذا النوع فأدخلاه فى أضدادهما ، ولكنه لم يحظ بمثل هذا القبول عند غيرهما ، فنقده أبو الطيب -- كما رأينا – نقدا مرا، ونفاه من الأضداد واكتفى غيره بإهماله . وكشف عبد الفتاح بدوى عن رأيه فى هذا النوع فى قوله : ولا جرم أن دعوى التضاد فى هذه الطائفة إنما هو اعتبار للنغمة الصوتية فقط ، مع تناسى حقيقة الكلمة ومقياسها. فمختار الذى أصله مختير بكسر الياء لا يمكن أن يقال إنه مختار الذى أصله مختير بفتحها . ومن ثم تكون دعوى التضاد فى هذه الطائفة أشبه بالهذر منها بالحقائق العلمية، لأن التضاد إنما يتصل بالمعانى لا بالأنغام ".

ونسى هذا الكاتب أن التضاد يقوم على الأنغام (أصوات الكلمات) ومعانيها فى نفس الوقت ، وأنه لو فرق بين الاثنين ما وجدت الأضداد ،وما

---

(١) ١٧٥.

وُجد بحث فيها . ونسى أن الصرفيين عندما يقولون إن مختار أصلها مختير بكسر الياء إذا كانت اسم فاعل ، أو بفتحها إذا كانت اسم مفعول ، فكُرهت حركة الياء فحذفت، وقلبت الياء ألفا ، لا يريدون بذلك أن العرب نطقوا بها - أول ما نطقوا - بالياء المحركة، ثم مر عليهم طور نطقوا فيه بالياء الساكنة ، ثم فى الأطوار الأخيرة بالألف. فحسهم اللغوى ، وذوقهم أصوات الألفاظ ، جعلاهم يستعملون اللفظ بالألف منذ الوهلة الأولى ، لأنهم لم يستحسنوا غيرها ، حتى قبل وجوده . أما الصرفيون فيفترضون أنه لو كانت اللفظة فى أصلها على هذا البناء، لاستمر بها التغيير إلى ما صارت عليه . فكأنما أقام الكاتب رده على افتراضات . وعدها حقائق علمية ، فانهار نقده، ولم يستطع الوقوف على قدميه . فالصيغتان فى الحقيقة والواقع لا فرق بينهما، ولم يكن يوجد فرق صوتى بينهما قط.

ولكننا - برغم انهيار نقده - لا نستطيع أن نلحق بهذا النوع من الألفاظ معنيين متضادين، وإنما نقول إن فيها تضادا فى اتجاه المعنى، لا المعنى نفسه . فهو مرة متجه إلى الفاعل ، وأخرى إلى المفعول، ولكنه هو هو، فى المرتين . فالاختيار لم يتغير ، وإنما اتجه القائل ذات مرة إلى فاعل هذا الحدث، واتجه فى المرة الثانية إلى الذى وقع عليه الحدث .

تلك هى الأنواع التى أطلق عليها قطرب لفظ الأضداد ، وأدخلها فى كتابه . وقد ارتضاها أكثر المؤلفين - كما رأينا - وزادوا عليها أنواعا أخرى، نتتبعها فى كلامنا التالى .

١٦ - الأضداد المجازية ، أى التى أحد معنييها حقيقى، والآخر مجازى. ويتمثل هذا النوع فى صنفين من الألفاظ :

(أ) فالصنف الأول : الألفاظ التى تطلق على الإناء وما فيه . وظهر هذا الصنف عند أبى عمرو بن العلاء. قيل فى أضداد الأصمعى[1] : " قال أبو عمرو: الإرة : النار ، والإرة : الحفرة التى فيها النار " . ووجد عند أبى زيد، قيل

(١) ٦٤ ، وأورده ابن السكيت ٣٣٨، وابن الأنبارى ٢٠٨، والصغانى ٣٧٣ .

فى أضداد الأصمعى [1] : " الظعينة : المرأة على البعير ، ويجوز أن تكون فى بيتها . قال أبو زيد : الظعائن : الهوادج ، وإنما سميت النساء ظعائن لأنهن يكنّ فيها ". وارتضى أبو عبيدة هذا الصنف ، قيل فى أضداد الأصمعى [2] : "قال أبو عبيدة : الكأس : الإناء الذى يشرب فيه ، والكأس: ما فيه من الشراب" وسار على ذلك الأصمعى، وروى فى أضداده [3] : " ويقال ناقة ثِنْى : إذا ولدت بطنين ، وثنيُها : ما فى بطنها ..

وسار المتأخرون على هذا النهج، الذى اختطه الرعيل الأول من اللغويين ، فأورد ابن السكيت وأبو حاتم وابن الدهان والصغانى ما أورده السابقون عليهم من أمثلة هذا الصنف من الأضداد . وأورد أبو حاتم مثالا لم يورده من قبله ، قال [4] " المِجْمر : العود الذى يدخَّن به . والمجمر أيضا : الذى يوضع فيه الدُّخْنة ، ومنه قول ابن أحمر:

لم يعدُ أن فتق الشجاع لَهَاته   وافترّ قارحه كلز المجمر

أراد أنه أول ما بزل فقارحه مثل الحديدة التى يلزمها المجمر مثل الشعيرة أو أصغر".

ونستطيع أن نضع فى هذا الصنف مثال ما جاء فى أضداد الأصمعى [5]: "الراوية : البعير الذى يستقَى عليه الماء، يقال : رويت عليه أروى رَيَّة : إذا استقيت عليه ، وبه سميت الراوية التى عليه، وإنما هى المزادة ، قال أبو النجم :

---

(١) ٦٨ . وأورده ابن السكيت ٣٤٢ وابن الأنبارى ١٠٠ وابن الدهان ١٥ والصغانى ٥٦٦ .

(٢) ٦٧ . وأورده ابن السكيت ٣٤١ وابن الدهان ١٨ ، والصغانى ٦٣٩، وجعله ابن الأنبارى من أشباه الأضداد .

(٣) ٦٥ . وأورده ابن السكيت ٣٣٩ وابن الأنبارى ٢١١ وأبو الطيب ١١٩ وابن الدهان ٨ والصغانى ٤١٦.

(٤) ٢٧٣ . وأورده ابن ادهان ٨ .

(٥) ٦٩ . وأورده ابن السكيت ٣٤٣ وابن الأنبارى ١٠١ وابن الدهان ١١.

تمشى من الرِّدة مشيَ الحُفَّل مشيَ الروايا بالمزاد الأثقلِ

يقال : أردتِ الناقة ، وذلك إذا كانت عطشى ثم رويت فعطنت ، فينفتح ضرعها حتى تحسَب أنها حامل .."

وجعل عبد الفتاح بدوى هذا النوع وألفاظ التفاؤل والتطير طائفة واحدة ، ووجه إليها النقد الذى ذكرته آنفا . والحق أن المعنى لم يتغير ولم يتضاد فى أى لفظ منها. وإنما كان من سنن العرب إطلاق اللفظ الواحد على الشيء وما يلازمه، لاتجاه الذهن إلى الاثنين معا كلما ذكر أحدهما . فكان اللفظ فى أصالته يدل على أحد المعنيين ثم انتقل مجازا إلى المعنى الثانى لما بينهما من تلازم فى الواقع والذهن .

(ب) لفظ أمّة ، الذى زاده ابن الأنبارى ، إذ قال [1] : " الأمة حرف من الأضداد يقال : الأمة للواحد الصالح الذى يُؤتَم به ، ويكون عَلما فى الخير، كقوله عز وجل : (إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا) ويقال : الأمة للجماعة، كقوله عز وجل : (وجد عليه أمة من الناس يسقون)..ويقال : الأمة أيضا للواحد المنفرد بالدين ..".

وواضح أن عدّ هذا اللفظ من الأضداد فيه تعسف . فالمعنى لم يتضاد فى إطلاق اللفظ على المفرد أو الجماعة . بل إنى أعتقد أنه – حين يطلق على الفرد – يحتفظ بدلالته على الجماعة . فالآية تصف إبراهيم عليه السلام بأنه كان يعادل فى دينه وورعه وتقواه الجماعة من الناس ، أو أنه جمع إيمان الأمة وورعها وتقواها فى شخصه ، أو أنه كان كل المؤمنين فى وقته القانتين الحنفاء ولم يكن مؤمن غيره .

وأضاف ابن الأنبارى إلى ما سبق أنواعا أخرى، لست على يقين أكلُّها من عنده أم ينقلها عن غيره ، إذ لا دليل يميل بالمرء إلى أحد هذين الرأيين إلا فيما أسنده إلى غيره. وهاك هذه الأنواع :

---

(١) ١٦٩ وأورده ابن الدهان ٦ ، والصغانى ٢٨١ .

١٧ - الأفعال المتعدية واللازمة بمعنى واحد . قال [١] : " زال حرف من الأضداد . يقال : قد زال المكروهُ عن فلان ، وقد زال الله المكروه عنه بمعنى أزال.. وخان حرف من الأضداد . يقال : خان النعيم فلانا ، وخان الدهرُ النعيمَ فلانا فيكون النعيم فاعلا في حال، ومفعولا في حال، وخان غير متغير اللفظ .. وطل حرف من الأضداد . يقال : طَلَّ فلان دم فلان إذا أبطله ،وطل دمُ فلان: إذا بطل ، والاختيار طُل دمه.." ولا شك أن ابن درستويه كان يتحدث عن هذا النوع، حين ذكر أن العرب تحذف أحيانا حرف الجر للتخفيف عند كثرة الاستعمال. فالاستعمال الأصيل للفعل كان باللزوم ثم حذفت منه أداة التعدية للخفة.

١٨ - الحروف والأدوات ، التى تدل على معان مختلفة مثل قوله [٢]: "قال بعض أهل العلم : إن حرف من الأضداد أعني المكسورة الهمزة المسكنة بالنون، يقال : إن قام عبد الله ، يراد به : ما قام عبد الله . حكى الكسائي عن العرب: إن أحدٌ خيرا من أحد إلا بالعافية . فمعناه : ما أحد . وحكى الكسائي أيضا عن العرب : إن قائما على معنى إن أنا قائما ، فتُرك الهمز من أنا ، وأدغمت نون إن في نون أنا : فصارتا نونا مشددة كما قال الشاعر :

وترمينني بالطرف أى أنت مُذنب   وتَقْلينني لكنَّ إياك لا أقلِي

أراد : لكن أنا إياك ، فترك الهمز وأدغم. يقال: إن قام عبد الله ، بمعنى: قد قام عبد الله . قال جماعة من العلماء في تفسير قوله جل وعز (فذكر إن نفعت الذكرى) معناه : فذكر قد نفعت الذكرى ." ومن هذا الصنف أيضا علاجه لهل ،وما ، وأو ، وقلده فيها الصغاني وابن الدهان. ولم يكن اعتبار هذه الحروف من الأضداد من ابتكاره إنما هو مقلد فيها ، بدليل عبارة " قال بعض أهل العلم " ويبدو أنه يريد بذلك الكسائي في هذه المادة . وحقيقة الأمر

---

(١) ١٧٥ - ١٧٧ . وأوردها ابن الدهان ١٢ ، ١٠ .

(٢) ١١٦ .

فى هذه الحروف والادوات أنها بقايا ألفاظ قديمة ، تخلفت لدينا من الأطوار الأولى من اللغة ، وأن معظمها يتألف من عناصر إشارية مثل النون . فهذه المعانى المنسوبة إليها وصلت إلينا من مراحل مختلفة من التطور اللغوى ، ولا يستطاع الحكم بأن هذه الأنواع من الألفاظ من الأضداد [1] .

وقد عقب عبد الفتاح بدوى على هذا النوع بقوله : " ودعوى التضاد فى هذه الطائفة تهافت لأن معنى اللفظ لا تضاد فيه لأن الأوضاع مختلفة، فما النافية ليست ما الموصولة حتى نعقد تضادا أو غير تضاد بين المعنيين ".

١٩ - التصغير ، أضافه ابن الأنبارى فى قوله [2]: " من الأضداد أيضا التصغير ، يدخل لمعنى التحقير ، ولمعنى التعظيم . فمن التعظيم قول العرب : أنا سُرَيسير هذا الأمر ، أى أنا أعلم الناس به . ومنه قول الأنصارى يوم السقيفة: أنا جُذَيلها المحكّك وعُذَيقها المرجّب، أى أنا أعلم الناس بها . فالمراد من هذا التصغير التعظيم لا التحقير . والجذيل : تصغير الجِذْل ،وهو الجذع ، وأصل الشجرة . والمحكك : الذى يُحتك به ، أراد أنا يشتفى برأيى كما تشتفى الإبل أولاتُ الجرب باحتكاكها بالجذع. والعذيق : تصغير العِذْق، وهو الكباسة ، والشمراخ العظيم . والمرجب: الذى يُعمّد لعظمه. وقال لبيد فى هذا المعنى :

وكل أناس سوف تدخل بينهم ... دويهيةٌ تصفرّ منها الأنامل

فصغر الداهية معظّما لها لا محقرا لشأنها ..".

واختلف العلماء فى التصغير ، قال الرضى [3]: " قيل يجيء التصغير للتعظيم ، فيكون من باب الكناية ، يكنى بالصغر عن بلوغ الغاية فى العظم،

---

(١) انظر كتاب التطور للغة العربية لبرجشتراسر.

(٢) ١٩١ .

(٣) شرح الشافية ١ : ١٩ .

لأن الشيء إذا جاوز حده جانس ضده ... واستدل لمجيء التصغير للإشارة إلى معنى التعظيم بقوله :

وكل أناس سوف تدخل بينهم   دويهية تصفر منها الأنامل

ورد بأن تصغيرها على حسب احتقار الناس لها وتهاونهم بها، إذ المراد بها الموت : أى يجيئهم ما يحتقرونه مع أنه عظيم فى نفسه تصفر منه الأنامل . واستدل أيضا بقوله :

فويق جُبيل شاهق الرأس لم تكن   لتبلغه حتى تكلَّ وتعملا

ورد بتجوز كون المراد دقة الجبل وإن كان طويلا ، وإذا كان كذا فهو أشد لصعوده".

نضيف إلى ذلك أن تصغير اللفظ المفرد لا يفيد إلا الصغر وما أحاط به من ظلال وإيحاءات كالرحمة والإشفاق والعطف والتدليل وما إليها . أما المعانى الأخرى التى تسبَغ على الألفاظ المصغرة فتأتيها من تأليفها مع ألفاظ أخرى فى سياق واحد واللفظ لا محالة يتغير معناه بعض الشيء عند التأليف: ضيقا واتساعا ، ليأتلف مع جيرانه ويتجه معها فى اتجاه واحد . ويجب أن تقوم دراسة الأضداد على الألفاظ المفردة ، لا المؤلفة فى عبارات .

٢٠ – ما يحتمل معنيين متضادين من العبارات . وأعتقد أن الذى دفع ابن الأنبارى إلى الخوض فيه اتصاله بالقرآن. ونستطيع أن نصنفه إلى ثلاث فئات ، هى :

(أ) الآيات القرآنية ، وهى أكثر الفئات ورودا فى الكتاب ،وأكبرها حظا من تناول المؤلف، الذى يطيل فى بعضها ، ويورد أقوال المفسرين المختلفة. ومن أقصر الأمثلة على ذلك قوله [1] : " ومما يفسر من كتاب الله جل وعز تفسيرين

(١) ٢٩٢ . وانظر ١٦٧ – ٨ ، ١٩٦ ، ٢٢٣ ، ٢٣٤ ، ٢٣٧، ٢٦٥ ، ٢٧٢ ، ٣ ، ٢٩٧ ، ٢٩٩ ، ٣٣٣؛ ٣٤١ ، ٣٥٣ ، ٥٧.

متضادين قزله جل اسمه : (وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه) فيقول بعض المفسرين . الرجل المؤمن هو من آل فرعون ، أى من أمته وحَيه ومن يدانيه فى النسب.. ويقول آخرون : الرجل المؤمن ليس من آل فرعون، إنما يكتم إيمانه من آل فروع . وتقدير الآية عندهم : وقال رجل مؤمن يكتم إيمانه من آل فرعون".

(ب) الشعر ، وهو إن كان أقل من الآيات عددا إلا أن حظه من التناول لا يقل عن حظ الآيات طولا . ومثاله قوله [1] : " ومما يفسر من الشعر تفسيرين متضادين قول قيس بن الخطيم :

أتعرف رسما كاطراد المذاهب ... لعمرةَ وحشا غير موقفِ راكب

ديار التى كادت ونحن على منى ... تحل بنا لولا نجاء الركائب

قال ابن السكيت : أراد بقوله : غير موقف راكب ، إلا أن راكبا وقف ، يعنى نفسه . وقال غيره : لم يرد الشاعر هذا ، ولكنه ذهب إلى أن " غيرا " نعت للرسم ، تأويله : أتعرف رسما غير موقف راكب. أى ليس بموقف للراكب لاندراس الآثار منه وامّحاء معالمه فمتى بَصُر به الراكب من بُعْدٍ ذُعر منه، فلم يقف به..".

(جـ) الأقوال . وهى تعادل الشعر كثرة، ويتفاوت حظها من طول التناول. وأقصر أمثلتها قوله [2]: " ومن الأضداد أيضا : قولهم: أقسمت أنْ تذهب معنا، يحتمل معنيين : أحدهما أقسمت ألا تذهب معنا، والآخر أن تذهب معنا. وكذلك نشدتك الله أن تذهب معنا ، يحتمل المعنيين جميعا ..".

---

(1) ١٨٣ وانظر ١٩٧ ، ٢١٩ ، ٢٣٨.

(2) ٢٠٠ - ٢٠٢ . وانظر ١٥٩ ، ١٦٠ ، ٢٠٦.

ووضع هذه العبارات في الأضداد غريب، أنكره بحق المستشرقون وعبد الفتاح بدوى. فلا يوجد لفظ معين يمكن أن يلصق به معنيان متضادان، وإنما يستفاد المعنيان من السياق والقرائن .

٢١ - المقلوب من العبارات ، بأن ينسب الحدث إلى غير فاعله . وأمثلته نادرة عنده كقوله [1]: " ويقال تهيبت الطريقَ وتهيبنى الطريقُ بمعنى ، وهذا من الأضداد .. قال أبو بكر: وهذا عندى مما يقلب لأن اللبس يؤمن فى مثله ، فيقال : تهيبنى الطريق، لأنه معلوم أن الطريق لا تتهيب أحدا ..".

ووجد ابن الأنبارى مجموعة من الألفاظ تقارب الأضداد ، ولكنها لا تماثلها كل المماثلة ، فميزها عنها بعض التمييز ، وسماها أحيانا " أشباه الأضداد " وأحيانا " ما يجرى مجرى الأضداد " ونجد تحت الاسم الأول الأصناف التالية:

١ - الألفاظ ذوات المعانى الحقيقية والمجازية قال [2] : " سمع حرف من الحروف التى تشبه الأضداد يكون بمعنى أجاب . من ذلك قولهم : سمع الله لمن حمده ، معناه أجاب الله من حمده . ومن هذا قوله عز وجل : (أجيب دعوة الداعى إذا دعان) .

وقالوا : يكون سمع بمعنى أجاب ، وأجاب بمعنى سمع ، كقولك للرجل: دعوتَ من لا يجيب ، أى دعوت من لا يسمع، وأنشدنا أبو العباس.

دعوتُ اللهَ حتى خفت أن لا   يكون الله يسمع ما أقــول

أراد يجيب ما أقول . وقال جماعة من المفسرين : معنى الآية أجيب دعوة الداع إذا دعان فيما الخِيرة للداعى فيه ، لأنه يقصد بالدعاء قصدَ صلاح شأنه ، فإذا سُئل ما لا صلاحَ له فيه فإن صَرْفَه عنه إجابةٌ له فى الحقيقة ". والحق أن

---

(١) ٥٦ .

(٢) ٨٠ . وأورده ابن الدهان ١٢ ، وعقب عليه بأن فيه نظرا .

الإجابة معنى مجازى لسمع ، لأن السمع أول مرحلة من مراحل إجابة الطلب أو الدعاء ، أو هى نتيجة السمع عند الرضى، فلا إجابة بدون سماع . ولما كان الأمران بهذا الارتباط صح توسيع معنى السمع والإجابة بحيث تشمل المراحل كلها . فهذا الاستعمال توسع وتجوز لا تضاد، ولا شبهه . ويبدو من عبارة ابن الأنبارى أنه ينقل كلام بعض الناس قبله. ونضع فى هذا الصنف لفظى كأس وطبخ الذى سبق الكلام عليهما، واعتبرهما ابن الأنبارى من أشباه الأضداد .

٢ – الألوان . قال [1] : " ومما يشبه حروف الأضداد الأحمر ، يقال أحمر للأحمر، ويقال رجل أحمر إذا كان أبيض . قال أبو عمرو بن العلاء : أكثر ما تقول العرب فى الناس أسود وأحمر . قال : وهو أكثر من قولهم أسود وأبيض ، وأنشد ابن السكيت لأوس بن حجر :

وأحمر جعدا عليه النسور ... وفى ضِبْنه ثعلب منكسر

وفى صدره مثلُ جيبِ الفتا ... ة تشهق حينا وحينا تَهِر

قوله : فى ضبنه : معناه فى إبطه . والثعلب : ما دخل من طرف الرمح فى جُبة السنان. وقوله : تشهق حينا : شهيق الطعنة أن تدخل الريح فيها فتصوت. وتهر : معناه تقبقب " . وكذا قال عن الأصفر والأخضر والأسود . ولكن هذه الألفاظ جميعا لا تضاد ولا شبهة فيها ، وإنما الألوان نفسها لا تكون خالصة ، فبعضها أصفر مائل إلى السواد، وبعضها أبيض يشوبه شىء من حمرة، وبعضها أخضر يغلب عليه السواد.. وهكذا . ولم تضع العرب ألفاظا خاصة لجميع هذه الألوان الفرعية، اكتفاء بالرئيسية منها، فأصبح اللفظ الواحد يطلق على الدرجات المختلفة من اللون، فظُن أنه من الأضداد . وأدخل الصغانى وابن الدهان هذه الألوان كلها فى أضدادهما، كما أدخل قطرب فيها الأصفر.

(١) ٢٣١ .

٣ – عبارات الاستهزاء . قال [1] : " ومما يشبه الأضداد قولهم في الاستهزاء : مرحبا بفلان ، إذا أحبوا قربه ،ومرحبا به إذا لم يريدوا قربه . فمعناه على هذا التأويل: لا مرحبا به . فالمعنى الأول أشهر وأعرف من أن يحتاج فيه إلى شاهد. والمعنى الثاني شاهده :

مرحبا بالذى إذا جاء الـ ـخير أو غاب غاب عن كل خير

هذا هجاء وذم ، معناه مرحبا بالذى إذا جاء غاب عن كل خير ، جاء الخير أو غاب . وتأويل مرحبا : لا مرحبا به ..

" ومما يشبه الأضداد أيضا قولهم للعاقل: يا عاقل ، وللجاهل إذا استهزأوا به : يا عاقل ، يريدون يا عاقل عند نفسك ، قال الله عز وجل : (ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم ، ذق إنك أنت العزيز الكريم) معناه عند نفسك، فأما عندنا فلست عزيزا ولا كريما.وكذلك قوله عز وجل فيما حكاه عن مخاطبة قوم شعيب شعيبا بقولهم :(إنك لأنت الحكيم الرشيد) " أرادوا أنت الحليم الرشيد عند نفسك . قال الشاعر :

فقلت لسيدنا: يا حليم إنك لم تأسُ أَسْوا رفيقا

أراد يا حليم عند نفسك فإنما عندى فأنت سفيه ".

وهذه العبارات لا تضاد ولا ما يشبهه فيها ، فالمتكلم حين وصف الجاهل بالعاقل لم يقصد قط أن يصفه بحقيقته وهى الجهل، بل أراد وصفه بالعقل . وأعنى بذلك أنه لم يرد أن نتصور إنسانا جاهلا بقوله: يا عاقل، بل أرادنا أن نتصور إنسانا عاقلا، ونستحضر هذه الصورة أمامنا حتى نمتلىء إحساسا بها، ثم ننظر إلى هذا الجاهل ونرى مدى انطباق الصورة عليه. ومن المفارقة في الصورتين يأتى الاستهزاء والضحك.ولو كان يريد منا أن نتصور إنسانا جاهلا

---

(١) ١٥٦ ، ١٥٧ . وأوردها ابن الدهان ١١، ١٦.

بقولــه هــذا ، مـ ' جعلـنا نضـحك، لأن السـورتين سـتنطبقان، ولا تـبرز المفارقـة بينهما .

أمـا الصـنف الثانى ، أو مـا يجـرى مجـرى الأضـداد عـنده ، فهـو الأعـلام الـتى يحـتلف فـى عروبـتها أو أعجميـتها قـال [1] . " ومما يفسـر مـن كـتاب الله جـل وعـز تفسيرين متضادين قولـه عـز وجـل " طـه " . قـال بعـض المفسـرين: معناه ، يا رجـل بالسـريانية . وقـال غـيره · معـناه : يـا رجـل ، بلغـة عـك ، وزعـم أن عكـا يقولون للرجل : طه ، وكذلك للرجال والنسوة ، وأنشد :

إن السفاه كطه من خليقتكم   لا قدس الله أخلاق الملاعين

وقـال الأخفـش: طـه علامـة لانقطـاع السـورة الـتى قبـلها. وقـال الفـراء : طـه بمـنزلة (الم) ، ابـتدأ الله جـل وعـز بهـا مكتفـيا بهـا مـن جمـيع حـروف المعجـم، لـيدل العـرب عـلى أنـه أنـزل القـرآن عـلى نبـيه باللغـة الـتى يعـلمونها والألفـاظ الـتى يعقلونها كى لا تكون لهم على الله حجة"

وقـال [2] : " ومـنها أيضـا يعقـوب يكـون عربـيا لأن العـرب تسـمى ذكـر الحَجـل يعقوبا ويجمعونه يعاقيب، قال سلامة بن جندل:

أودى الشباب حميدا ذو التعاجيب   أودى وذلك شأو غير مطـلوب

ولى حـثيثا وهـذا الشـيب يطلبه   لو كـان يدركه ركضُ اليعاقيب

وأجـرى القـول نفسـه عـلى إسحاق، وعـلى لفـظٍ مـن غـير الأعـلام ، هـو مشكاة ، الـتى قـيل إنهـا حبشـية وقـيل عربـية، ولا شـك أن الأسـاس الـذى أقـام علـيه ابـن الأنـبارى القـول بتضـاد هـذه الأعـلام أو جـريانها مجـرى الأضـداد مـنهار لا قائمـة لـه، ولا يحتاج إلى تفنيد .

---

(١) ٣١٤.

(٢) ٣٣٧.